المفاخر العليَّة
بحديث الرحمة المسلسل
بالأوليَّة

لخادم العلم الشريف
أبـــي الفضل أحمد بن منصور قرطام
الحسيني المالكي التونسي الفلسطيني



1436 هـ - 2015 م

ISBN: 978-9938-14-010-1

اَلْكَـاتِـبُ فِي سُطُـور

هو شيخنا الفقيه الأصولي المحدث الصوفي أبو الفضل أحمد بن منصور قرطام الحسيني المالكي التونسي الفلسطيني الأصل، ولد في لبنان عام 1381 هجري الموافق 1960 رومي في مخيمات اللاجئين.

تلقى العلوم الأساسية والإعدادية والثانوية في مدارس اللاجئين في لبنان، والتحق في صفوف الثورة الفلسطينية وعمره عشر سنوات وكانت له مشاركات عديدة فيها.

استشهد والده رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شهر شباط عام 1973 رومي.

ارتحل شيخنا لطلب العلوم الشرعية إلى بلدان شتى وأقطار عديدة.

تلقى شيخنا العلوم الشرعية عن ثلة من العلماء الأثبات نذكر منهم:

ـ الشيخ العلامة الأصولي المحدث سيدي محمد الشاذلي النيفر الحسيني المالكي التونسي عميد جامعة الزيتونة.

ـ الشيخ العلامة الأصولي الفقيه سيدي محمّد الأخوة المالكي الحنفي التونسي.

ـ الشيخ العلامة الأصولي الفقيه سيدي كمال الدين جعيِّط المالكي الحنفي مفتي الجمهورية التونسية.

ـ الشيخ العلامة الأصولي الفقيه سيدي محمد المازوني المالكي التونسي.

ـ الشيخ العالم الزاهد العابد حامل القراءات السبع المفسر اللغوي سيدي أحمد دريرة المالكي التونسي.

ـ الشيخ العلامة الأصولي الفقيه المفسر سيدي محمد المنصف جعيط المالكي التونسي.

ـ السيد العلامة بدر الدين الكتاني الحسني المالكي المغربي.

ـ الولي الصالح سيدي محمد تقي الدين الكتاني الحسني المالكي المغربي.

ـ السيد العلامة المحدث الأصولي المفسر محمد المنتصر الكتاني الحسني المالكي المغربي.

ـ السيد العلامة المحدث عبد الله التَّلِيدي الحسني المالكي المغربي.

ـ السيد العلامة الأصولي الفقيه محدّث المغرب الناقد الصوفي الكبير عبد العزيز بن الصديق الغماري الحسني المغربي.

ـ السيد الإمام الحافظ جامع شتات العلوم الولي الصالح المجاب الدعوة سيدي عبد الله بن الصديق الغماري الحسني المغربي.

ـ وتدبَّج مع إمام الحرمين سيدي محمّد علوي المالكي الحسني المكي.

تشرف شيخنا بالعديد من الإجازات الخاصة والعامة في مختلف الفنون والعلوم الشرعية.

يروي شيخنا بالسند المتصل الصحاح الخمسة وهي صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، ويروي موطأ الإمام مالك، وبقية السنن والمسانيد، وكتب المعاجم والأثبات كـ: سد الأرب، وفهرس الفهارس، والبحر العميق، وغنية المستفيد، والطالع السعيد، كما هو مجاز بالفتوى على المذاهب الأربعة.

مما قاله آبائه رحمهم الله عنه:

قال الشيخ محمّد الشاذلي النيفر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

"وكان محل الابن العالم البحاثة الأستاذ أحمد منصور قرطام الفلسطيني في طالعة الحاضرين مع اهتمام زائد في تسجيل الفوائد والبحث الصحيح، أمده الله بالإعانة، وزاده في زاده العلمي الكثير

الوافر مما غَفَل الناس عنه، وحفظه ورعاه، كان الله له ولوالديه ولجميع المسلمين بمنه وكرمه".

وقال أيضاً في تقريظه على كتاب المفاخر العليَّة بحديث الرحمة المسلسل بالأوليَّة: "وممن وفقهم الله إلى ذلك سعادة الأستاذ الشيخ أحمد بن منصور قرطام الفلسطيني التونسي البحاثة المطلع النفاعة الحريص على التلقي وعلى إبلاغ ما حصل عليه مِن زاد فائق، وتحصيل جادّ، بلَّغه الله المراد".

"كل ذلك جعله كفؤاً للتأليف والتدريس، **ثم قال**: وتوسع في معناه توسع خِرِّيت - الذي عرف خبايا الأمور-، فأشبع القول مما أفاد فيه وأجاد".

وقال فيه سيدي كمال الدين جعيِّط رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

"وإن مقام ابننا الشيخ أحمد لمن الصابرين المولعين بمعرفة أسرار الدين، المتلقِّين للمعرفة باليمين، وليت لنا قدراً من الفراغ أوسع في هذا الزمان الذي كثرت لنا فيه المشاغل والمسؤوليات، التي استغرقت

كل الأوقات، ولم تترك لنا ساعة للتذاكر والمراجعة والبحث والمجادلة...".

وقال أيضاً في رسالة بعث بها إلى أهل فلسطين:

"وإن من بين من كَرَعَ من مناهل العرفان، وملأ وِطَابه من العلوم الشرعية، أكان في الأصول العقائدية على مذهب السادة الأشعرية، والتفقه في الأحكام العملية والفروع الفقهية على مذهب السادة المالكية، ابننا البار ولدنا الروحي الفاضل الزكي: أبو الفضل حسام الدين أحمد منصور قرطام الفلسطيني الأصل، التونسي المُقام، فقد لازمني وأخذ عني، وتخرج على أيدي علماء من أهل البلد الأجلاء، وإني المسمّى: كمال الدين بن محمد العزيز جعيِّط، طالب العلم الشريف، وأحد المتخرجين من جامع الزيتونة ومدرسيه، أجيز ابني أحمد المذكور لتدريس العلوم الشرعية، إذ هو أهل لذلك، فقد فاق أقرانه ومن كان في سنه من أمثاله، فاقهم نبلاً وفضلاً، وفَهماً وعلماً، وهو من الذين لا يخشَون في الله لومة لائم، وقد اختبرته واختبرت تلاميذه ممن أخذوا عنه ونشر علمه بينهم فاستناروا به وانتفعوا به

أيَّ انتفاع، وقد حَبَّرَ قلمه مسائل عقائدية وأخرى فقهية، وقد انتهزها مريدوه، وقد كنا مستأنسين به بيننا نتجاذب معه أطراف الحديث، ونتباحث في مسائل فقهية وأخرى أصولية، وقد شاء المولى أن ينتقل إلى البلاد الشرقية، وإني جازم بأنه سيؤهله مستواه المعرفي في العلوم الشرعية وتمكنه من أصول الدين وأصول الفقه ومعرفة القواعد من أن تتلقاه أهل البلد بالإجلال والإكبار، وتُرسّمه في سلك علمائها الكبار، وسيقوم إن شاء الله بتدريس العلوم الشرعية، وسينشئ الرسائل والتآليف الفاضحة لزيغ الزائغين، وسيقاوم اعوجاج المتنطعين وتحريف المضلين، وشهادتي فيه أنه: ملأ الوِطَاب بما حَسُن من العلوم الشرعية وطاب، وأنه تفقه في العلوم الشرعية ومقاصدها بحيث لا تتوارى عنه بحجاب، وهو مؤهل للفتيا بما يجلب له إن شاء الله الخير والثواب، وهو من المجتهدين الجاهدين في طلب العلم المتمسكين بسيرة وسنة سيد المرسلين، الباذلين النفس والنفيس في إعلاء كلمة اللـه رب العالمين، واللَّـهُ: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ "البقرة: ٢٦٩".

وقال فيه سيدي محمد المازوني التونسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

"فإن ابني الأستاذ أحمد منصور قرطام أَبَى إلا أن يبلغ درجةً قصوى من هضم علم الكلام، فبعد أن درس ذلك عليَّ سنة 89 بجامع الزيتونة، ونال مني إجازة في ذلك محررة بخط يدي، ها هو ذا يعيد الكرَّة من جديد، أعني بذلك أنه اتصل بي في داري برادس، وطلب مني أن يعيد الدراسة لمزيد التحقيق، ورغبة في التعمق، فلبيت بل رحبت بذلك، وتجددت الصلة بيني وبينه، وكانت الدراسة مني، وكان منه حسن القبول وكمال الاستعداد، وبذلك تجددت مني الإجازة بل الشهادة على حسن الإجادة، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وفَّقَه الله وأعانه، وهو بحقٍ جديرٌ بأن يدرس علم الكلام خاصة من كتاب طالع البشرى، والسلام".

وقال فيه سيدي عبد العزيز بن الصديق الغماري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

"أجزته بالطريقة الصديقية الشاذلية وأذنته بتلقينها للإخوان الصالحين، والحمد لله رب العالمين".

وقال أيضاً في إجازته على كتاب نبراس الأتقياء ودليل الأنقياء:

"فقد أجزت الأخ الفاضل الصالح البركة السيد أحمد بن منصور بجميع الأحزاب المذكورة في هذا المجموع".



روى ابنُ فِيَّرة الصَّدفي عن شيوخه فقال:

قُلْ لِمَنْ أَنْكَرَ الْحَدِيثَ وَأَضْحَى   عَائبـــاً أَهْلَـــهُ وَمَـــنْ يَدَّعِيـــهِ

أبعلْـــمٍ تَقُـــولُ هَـــذَا أَبِـــنْ لِي   أَمْ بجَهْلٍ؟ فَالجَهْلُ خُلْقُ السَّـفِيهِ

أَيُعَــابُ الذِيــنَ هُــمْ حَفِظُــوا   الدِّينَ مِــنَ التُّرَّهـاتِ والتموِيـهِ

وَإِلَى قَـــوْلِهِمْ وَمَـــا قـــد رَوَوْهُ   رَاجِـــعٌ كُلُّ عَالـــمٍ وَفَقِيـــهِ؟

وقال أبو الحسن علي بن إبراهيم السيحاني:

إن الذي يَـــروِي ولكنـــه   يجهَلُ ما يَـروِي ومـا يَكتُـبُ

كصـــخرةٍ تنبُـــع أمْوَاههـــا   تَسقِي الأراضي وهيَ لا تَشـربُ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

لفضيلة العلامة السيد محمد الشاذلي النيفر

الحسيني المالكي التونسي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلاته وسلامه على أشرف المرسلين وآله وصحبه أجمعين

استهلال

ميَّز الله تعالى هذا الدين بأنه حفظ له كل ما يتعلق به من الكتاب المنزَّل الكريم كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾"[1]"، وكما صان الله تعالى كتابه من التغيير الذي نال الكتب المنزَّلة السابقة، كذلك صان شريعة رسوله عليه أفضل الصلاة والتسليم، فقد وفق الصحابة الكرام الذين بلغوا تواتر كتابه تعالى المنزَّل الكريم، كذلك بلَّغوا سنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، فكانت متصلة الإسناد من أعظم الرسل عليه صلاة الله وسلامه، وإنما هيَّأ الله تعالى

1- سورة الحجر الآية: 9.

هذا الحفظ للشريعة الإسلاميَّة دون غيرها؛ لأنه جلَّ وعلا جعل رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ختام الرسالات.

فالإسناد هو للدين أعظم عماد، ومفتاح الإسناد حديث الرحمة المسلسل بالأوَّلية، فهو حديثٌ جديرٌ كل الجدارة بأن يُعتنى به، وممن وفقهم الله إلى ذلك سعادة الأستاذ الشيخ أحمد بن منصور قرطام الفلسطيني التونسي البحاثة المطلع النقَّاعة الحريص على التلقي وعلى إبلاغ ما حصل عليه مِن زاد فائق، وتحصيل جادّ، بلَّغه الله المراد.

كل ذلك جعله كفؤاً للتأليف والتدريس، وقد اختار هذا الحديث الذي هو كما تقدم مفتاح الأسانيد، فألمَّ في بحثه هذا بكلِّ ما يتعلق به من جهة الإسناد ممَّا دلَّ على بحثٍ عميق، وإطلاع متسع، وتعرض لمعناه بغير اقتصار على رواية التسلسل، إذ زاد على حديث: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ) الذي رواه أحمد والترمذي والحاكم في المستدرك، و(الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنْ الرَّحْمَنِ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ)، وتوسع في معناه توسع خِرِّيت، فأشبع القول مما أفاد فيه وأجاد، وجره القول على مسألة هامة دعا إليها قوله صلى الله عليه وآله وسلم

في الحديث: (يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ)حتى لا يذهب الذاهب إلى إثبات المكان إلى الله سبحانه وتعالى، وطال نفَسُه في تحقيق العقيدة، عقيدة من نفى عن الخالق جلَّ وعلا أنه في مكان، وهو لا يحده مكان ولا زمان.

فبحثه هذا اعتنى بالفوائد مما هو رائد في فهم حديث الأولية حتى لا يكتفي بعض الرواة بالإسناد، فأضاف إليهم تحقيق معناه بما يزيل كل ما يعلق بالأذهان؛ لأن الحديث كما أفاده فإنه راجع معناه إلى أنه خالق السماء أو من فيها، واستدلَّ على المعنى بأدلةٍ واضحةٍ تُزِيلُ كلَّ ريبٍ، فالباحثُ في كلِّ ما طرقه شفى الغليل، ووضَّح السبيل، كثّر الله من أمثاله في شبابنا حتى نضمن الاستقامة في العقيدة السالمة، والله الموفق لسواء السبيل.

محمد الشاذلي النيفر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد الحي القيوم الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي ينتهي إليه كل سندٍ يعتمد، وعلى آله وصحبه ومن خصه الله بكل علم مستند.

أما بعد،،،

فقد جرت عادة أهل الحديث زادهم الله تعالى شرفاً أن يعقدوا مجالس للإملاء في يومٍ من أيام الأسبوع، يُمْلونَ فيها الأحاديث بأسانيدهم، ويُتبِعونها بالكلام على ما يتعلق بشرح معانيها وبيان غريب ألفاظها، مع ذكر نُتف من الأشعار المناسبة لتلك الأحاديث، وها أنا ذا أسلك مسلكهم عملاً بقول شهاب الدين السهروردي:

فَتَشَبّهوا إِن لَم تَكُونوا مِثلَهُم   إِنَّ التَّشَبّه بِالكِرامِ فَلاحُ

سائلين المولى عزَّ وجلَّ أن يحشرنا تحت أعقابهم متبعين لمنهجهم في هذا العمل المفيد غير مبتدعين، لما يتوهَّمُه الذين يدَّعون أنَّ هذا العلم جديد، وسبب دعواهم كثرة الجهل وقلة العلم مع عدم الجلوس

بين أيدي العلماء والتأدُّب بآدابهم، وظنهم في ذلك أن العلم في الكتب، ولا حاجة لنا بأن نرحل ونتلقى عن الأشياخ، فغاب عنهم أن مفاتيح الكتب وأسرارها بأيدي الرجال، ولأجل هذا نقوم بعقد مجلسنا، سائلين الله أن يوفقنا لإظهار الحق واتباع أهله، لنملي فيه حديث الرحمة المسلسل بالأولية الذي جرت عادتهم أن يكون هو أول حديث يمليه الشيخ لتصح الأولية للسامعين، ويتم التسلسل للآخذين عنه على حقيقته، متكلماً وشارحاً لمصطلح كلمة المسلسل عند علماء الحديث، شارحاً لألفاظه مبيناً لغريب معانيه، مع ذكر ما يناسب ذلك من الأشعار كما هي العادة عندهم، وقد انفرد أهل الحديث زادهم الله تعالى شرفاً بهذا الفن وهو الإملاء، فلا تجده عند غيرهم من أهل العلوم الأخرى؛ لأن أهل الحديث اختصوا بشرف الاتصال برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق الإسناد وذكر الأحاديث عنه متصلة بأسانيدها في كتبهم ومجالسهم، ولذا قلَّ فنُّ الإملاء لندرة أهل الحديث كما هو ظاهر ومشاهد لكل واحدٍ في مشرق الأرض ومغربها، ولأجل هذا كان السند من سمات المحدثين،

وهو الإخبارُ عن طريق المتن، وطريقةُ الرواة، وأما المتنُ فهو ما انتهى إليه السند من الحديث، ويُطلق السند على رجال الحديث فيقال مسند العصر، والإسناد يطلق بمعنى السند وبمعنى رفع الحديث لقائله، وهو بهذا المعنى من خصائص هذه الأمة.

قال ابن حزم والنووي وابن العربي المعافري والسيوطي وغيرهم واللفظ لابن حزم في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل): "نقل الثقة عن الثقة حتى يبلغ به النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع الاتصال بخبر كل واحد منهم باسم الذي أخبره ونسبه، وكلهم معروف الحال والعين والعدالة والزمان والمكان، خصَّ الله به المسلمين دون سائر أهل الملل كلهم، وأبقاه عنده غضاً جديداً على قديم الدهور، يَرحل في طلبه إلى الآفاق البعيدة من لا يُحصِي عددهم إلا خالقهم، ويواظب على تقييده من تولى الله حفظه والحمد لله رب العالمين، فلا تفوتهم زلة في كلمة فما فوقها في شيء من النقل إن وقعت لأحدهم، ولا يُمكِّنَ فاسقاً أن يقحم كلمة موضوعة ولله تعالى الشكر، وأما مع الإرسال والإعضال فيوجد في كثير من اليهود، ولكن لا يقتربون فيه

من موسى عليه السلام قربنا من محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى أكثر من ثلاثين عصراً في أزيد من ألف وخمسمائة عام، وإنما يبلغون بالنقل إلى شمعون ونحوه، وأما النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل إلا تحريم الطلاق وحده فقط، على أن مُخرِجَه كذابٌ قد صحَّ كذبه، وأما النقل بالطريق المشتملة على كذاب أو مجهول العين فكثيرٌ في نقل اليهود والنصارى، وأما أقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم فلا يُمكِن لليهود أن يبلغوا إلى صاحب نبيّ أصلاً ولا إلى تابع له، ولا يُمكِن للنصارى أن يصلوا إلى أعلى من شمعون وبولص" انتهى بتصرف.

قلت: والتاريخ شاهدٌ على ذلك عند كل الملل بأن مصدر الأشياء عند النصارى شمعون وبولص ا.هـ.

وقد نقل شيخ شيوخنا الشريف عبد الحي الكتاني رحمه الله تعالى في كتابه (فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات) عن القاضي أبي بكر بن العربي رحمه الله تعالى في كتابه (سراج المريدين): "والله أكرم هذه الأمة بالإسناد لم يعطه أحد

غيرها، فاحذروا أن تسلكوا مسلك اليهود والنصارى فتحدِّثوا بغير إسناد، فتكونوا سالبين نعمة الله عن أنفسكم، مطرقين للتهمة إليكم، خافضين لمنزلتكم ومشتركين مع قوم لعنهم الله وغضب عليهم وراكبين لسننهم" ا.هـ.

ويشهد لذلك ما نقله الذهبي في (تذكرة الحفاظ)، والحافظ ابن حجر في (تهذيب التهذيب)، والسيوطي في (تاريخ الخلفاء)، والعلامة مُلا علي القاري في (الموضوعات) وغيرهم:" أنه جيء إلي هارون الرشيد بزنديق فأمر بقتله، فقال: يا أمير المؤمنين أين أنت عن أربعة آلاف حديث وضعتها فيكم، أحرم فيها الحلال وأحل فيها الحرام، ما قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- منها حرفاً، فقال له الرشيد: أين أنت يا زنديق عن عبد الله بن المبارك وأبي إسحاق الفزاري ينخلانها فيخرجانها حرفاً حرفاً" ا.هـ.

ومثل ذلك ما نقله ياقوت الحموي في (معجم الأدباء)، والتاج السبكي في (طبقات الشافعية)، والحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية)، والسخاوي في (الإعلان والتوبيخ لمن ذم التاريخ) عند

ترجمتهم للخطيب البغدادي: "ومن ثم لما أظهر بعض اليهود كتاباً وادعى أنه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإسقاط الجزية عن أهل خيبر، وفيه شهادة الصحابة رضي الله عنهم وذكروا إن خط علي عليه السلام فيه، وحمل الكتاب في سنة سبع وأربعين وأربعمائة إلى رئيس الرؤساء أبي القاسم علي وزير القائم، عرضه على الحافظ الحجة أبي بكر الخطيب فتأمله ثم قال: هذا مزور، فقيل له: من أين لك هذا؟، قال: فيه شهادة معاوية وهو إنما أسلم عام الفتح وفتح خيبر كان في سنة سبع، وفيه شهادة سعد بن معاذ وهو قد مات يوم بني قريظة قبل فتح خيبر بسنتين، فأستحسن ذلك منه واعتمده وأمضاه، ولم يجز اليهود على ما في الكتاب لظهور تزويره" ا.هـ.

وقال عبد الله بن المبارك: "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"[1]، وقال أيضاً: "مثل الذي يطلب أمر دينه بلا إسناد، كمثل الذي يرتقي السطح بلا سلم"[2]، وقال أيضاً: "بيننا وبين القوم

1- رواه مسلم.

2- رواه الخطيب البغدادي في الكفاية في علم الرواية.

القوائم"[1] يعني بالقوائم "الإسناد" وبالقوم "أهل البدع ومن شاكلهم"، وقد جاء عنه وغيره من الأئمة كلمات كثيرة في تبيين مقام الإسناد، كلها تتجه إلى إبراز أهمية الإسناد، وفوائده ومزاياه، ولزوم العناية به، وأنه من خصائص علوم الإسلام، وفي نقل جملة منها هنا استكمال لبيان موضع الإسناد من الدين، وإيضاح لأثره في تبليغ هذه الشريعة الإسلامية المطهرة وعلومها، وقال سفيان بن عيينة: حدثنا الزهري يوماً بحديث فقلت: هاته بلا إسناد فقال: "أترقى السطح بلا سلم؟"[2]، وقال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: "الإسناد سلاح المؤمن، فإذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل؟"[3]، وقال أيضاً: "الإسناد زين الحديث، فمن اعتنى به فهو السعيد"[4]، وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري في كتابه (معرفة علوم الحديث): "فلولا الإسناد، وطلب هذه الطائفة له، وكثرة مواظبتهم على حفظه، لدُرِس منار الإسلام،

1- رواه مسلم.

2- رواه البيهقي في شعب الإيمان.

3- رواه الحافظ أبو سعد السمعاني في أدب الإملاء والاستملاء.

4- ذكره السبكي في طبقات الشافعية.

ولتمكن أهل الإلحاد والبدع منه بوضع الأحاديث وقلب الأسانيد، فإن الأخبار إذا تعرت عن وجود الأسانيد فيها كانت بتراً، كما حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا أبو بكر بن أبي الأسود حدثنا إبراهيم أبو إسحاق الطالقاني حدثنا بقية حدثنا عتبة بن أبي حكيم أنه: كان عند إسحاق بن أبي فروة، وعنده الزهري، فجعل ابن أبي فروة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له الزهري: قاتلك الله يا ابن أبي فروة ما أجرأك على الله؟، لا تسند حديثك! تحدثنا بأحاديث ليس لها خُطمٌ ولا أزِمَّة"، والخِطَام والزمام كلاهما مما يقاد به البعير، ووجه الشبه بين الأسانيد والخُطم والأزِمَّة: الضبط والتعرف، فكما يضبط سيرُ الناقة بحركة زمامها، وتُعرفُ منه حركة وجهة سيرها الصحيح المطلوب، كذلك تُعرفُ الأحاديث وتضبط برجال أسانيدها، وبها يتميز صحيحها من سقيمها، ورواه من طريق آخر عن الزهري الحافظ أبو سعد السمعاني في كتابه (أدب

الإملاء والاستملاء)، وجاء فيه بعد قوله: "ليس لها خُطمٌ ولا أزِمَّة" يعني "الإسناد".

وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾"1" هو قول الرجل: حدثني أبي عن جدي"2"، وهو من أكثر المتحرين في الإسناد على الإطلاق، ويظهر ذلك جلياً من قوله رضي الله عنه وأرضاه: "لقد أدركت سبعين ممن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند هذه الأساطين -وأشار إلى المسجد- فما أخذت عنهم شيئاً، وإن أحدهم لو اؤتمن على بيت مالٍ كان أميناً، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن""3"، لأجل هذا قال يحي بن سعيد القطان ويحي بن معين: "مالك أمير المؤمنين في الحديث، على أنه لم يكن واسع الرواية؛ لأنه لم يرحل إلى البلدان والأقطار كما رحل غيره من الحفاظ، ولم يبارح المدينة المنورة إلا للحج، لكنه كان شديد الإتقان بالغ التحري مبرزاً في نقد الرجال""4"، قال الترمذي في

1- سورة الزخرف من الآية: 44.

2- رواه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث.

3- ذكره ابن فرحون في الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب.

4- نقله سيدي عبد الله بن الصديق الغماري في كتابه رتب الحفظ عند المحدثين.

(العلل): "سمعت إسحاق بن موسى الأنصاري قال: سمعت معن بن عيسى يقول: كان مالك بن أنس يشدد في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الياء والتاء ونحوها"، وروى أيضاً "قال يحي بن سعيد القطان: ما في القوم أحد أصحُّ حديثاً من مالك بن أنس، كان مالك إماماً في الحديث"، وقال سفيان بن عيينة: "رحم الله مالكاً ما كان أشد انتقاده للرجال"[1]، وقال ابن المديني: "لا أعلم أحداً يقوم مقام مالك في ذلك"[2]، وقال يحي بن معين: "كل من روى عنه مالك فهو ثقة إلا عبد الكريم"[3]، قال شيخنا عبد الله بن الصديق الغماري رحمه الله في كتابه (رتب الحفظ عند المحدثين): "عبد الكريم هذا ابن أبي المخارق أبو أمية البصري المعلم"، قال ابن عبد البر في (التمهيد): "لا يختلف أهل العلم بالحديث في ضعفه...، وكان حسن السمت غرَّ مالكاً منه سمته، ولم يكن من أهل بلده فيعرفه...، ولم يخرج مالك عن عبد الكريم بن أبي المخارق حكماً في موطئه وإنما

1- ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء.
2- ذكره القاضي عياض في ترتيب المدارك وتقريب المسالك.
3- ذكره المزي في تهذيب الكمال.

ذكر فيه عنه ترغيباً وفضلاً" ا.هـ، وقال الحافظ ابن سيد الناس في (شرح الترمذي): "لكن لم يُخرِّج عنه مالك إلا الثابت من غير طريقه (إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ)، ووضع اليمنى على اليسرى في الصلاة، وقد اعتذر لما تبين له أمره، وقال: غرني بكثرة بكائه في المسجد"[1]، وكتابه (الموطأ) من كتب السنة النافعة، مدحه الإمام الشافعي بكلمته المعروفة: "ما في الأرض بعد كتاب الله أكثر صواباً من موطأ مالك بن أنس"[2]، وأثنى عليه أكثر العلماء، فلا حاجة إلى الإطالة به لشهرته وانتشاره، قال شيخنا عبد الله بن الصديق في كتابه (رتب الحفظ عند المحدثين): "ولولا ما فيه من المرسلات والبلاغات ما تقدم عليه الصحيحان ولا غيرهما".

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: "مثل الذي يطلب الحديث بلا إسناد كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيها أفعى وهو لا يدري"[3]، وقد قال الزين العراقي: "نقل الإنسان ما ليس له به رواية

1- ونقله الذهبي في ميزان الاعتدال.

2- رواه ابن عبد البر في الاستذكار.

3- ذكره السخاوي في فتح المغيث بشرح ألفية الحديث.

غير سائغ بالإجماع عند أهل الدراية"[1]، **قلت**: وهذا الذي قاله الزين وإن اعترض عليه البعض من جانبٍ فالمعترض يقرُّ بمضمونه؛ لأنهم أجمعوا على أن من يتصدر للعلم والتدريس ليس له إلا خياران: إما أن يكون ناقلاً أو مدعياً أي مجتهداً، فإن كان ناقلاً فعليه بصحة النقل، وصحة النقل لا تكون إلا بالإسناد، وإن كان مدعياً فعليه بالحجة، ولولا الإسناد لما كانت الحجة، وسمعت من سيدي ومولاي عبد الله بن الصديق الغماري الطنجي المغربي رحمه الله: "إن السند بالنسبة للعالم يتصل به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم كالسلسلة التي يتصل بعضها ببعض، فإذا ما تحرك تحركت معه السلسلة، فمن أُعطي السلسلة بورك له في علمه، والعالم الذي لديه علمٌ ولا يتصل به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو إلى واضع ذلك العلم كأبي الحسن الأشعري مثلاً، فإنه كالحلقة المنفصلة عن السلسلة فإذا ما تحرَّك تحرَّك وحده، وطال الزمان أم قصر فإنه قد يحرم بركة علومه، والبركة شيء معنوي تظهر آثارها على من كان متصلاً بالنبي صلى الله

1- ذكره ابن حجر الهيتمي في الفتاوي الحديثية.

عليه وآله وسلم ومتبعاً له، فكيف يكون متبعاً وهو غير متصل به؟، وقالوا: إن من تعلم ووصل إلى درجة عالية من العلم وفُتِحَ عليه بإلهام من الله فعليه أن يدخل تحت السند تأدباً مع صاحب الشرع؛ لأنه لو كان هناك أحدٌ مستغنياً عن السند لكان حبيبنا وسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ومع هذا فإنه تلقى الوحي عن جبريل -رغم أنه أفضل منه- عن اللوح المحفوظ عن رب العزّة سبحانه وتعالى، وفي تلقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن جبريل تلقى الفاضل عن المفضول، وفي هذا يكمن سرُّ الشريعة الإسلامية"، فكيف يتجرأ بعض من ينتسبون إلى العلم ويقولون أنه لا حاجة لنا إلى السند بعد أن دونت العلوم في الكتب، فهذا كلام باطل فاسد من كل الوجوه لما بيناه وقلناه ونقلناه عن أعلام هذه الأمة، ولما سيأتي من مزيد بيانه، والله يعلم ماذا يقصد هؤلاء من قولهم هذا.

ولأجل الإسناد قال الإمام أحمد رضي الله عنه وأرضاه: "طلب الإسناد العالي سنة عمن سلف"[1]"، ويكفي أهل السند الذين هم أهل

1- رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع.

الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مدحهم فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (لَا يَزَالُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمُ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)"[1]، وأخرج الحاكم في (معرفة علوم الحديث) بسند صحيح عن الإمام أحمد أنه قال: "إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث فلا أدري من هم؟"، ومن طريق يزيد بن هارون مثله، وقال الترمذي في (سننه) سمعت محمد بن إسماعيل -أي البخاري- يقول: سمعت علي بن المديني يقول: "هم أصحاب الحديث"، وحدثني شيخي محمد الشاذلي النيفر عن والده الشيخ محمد الصادق النيفر عن الشيخ محمد الطيب النيفر أنه سمع الشيخ إبراهيم الرياحي التونسي يقول:

[البحر الكامل]

أهل الحديث طويلة أعمـارهم ووجوههم بدُعَا النبي منضـرة

وسمعت من بعض المشايخ أنهم أرزاقهـم أيضـاً بـه متكـثرة

1- رواه ابن حبان في صحيحه وسعيد بن منصور في سننه.

ويؤيد هذا ما نقله الإمام النووي رحمه الله تعالى في كتابه (الترخيص في الإكرام بالقيام لذوي الفضل والإنعام على سبيل التوقير والاحترام لا على سبيل الرياء والإعظام) بسنده المتصل إلى أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي الحافظ يقول: أنشدنا عبد السلام الأديب لنفسه رحمه الله"1":

ألا إنَّ خـــيرَ النـــاس بعـــد محمـــدٍ
وأصـــــحابه والتـــــابعين بإحســـــان

أنـــــاسٌ أراد الله إحيــــــاء دينـــــه
بحفــظ الذي يــروي عــن الأول الثــاني

إذا عالــمٌ عالي الحــديث تســامعوا بــه
جــــاءه القـــاصي مـــن القـــوم والداني

وساروا مسـير الشـمس في جمـع علمـه
فأوطــانهم أضــحت لهــم غــير أوطــان

1- ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق.

وروى أيضاً بسنده المتصل إلى الحافظ أبي القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن عساكر الشافعي أنه أنشد لنفسه رحمه الله[1]:

واظب على جمع الحديث وكتبه ... واجهد على تصحيحه في كتبه

واسمعه من أربابه نقلاً كما ... سمعوه من أشياخهم تسعد به

واعرف ثقات رواته من غيرهم ... كيما تميز صدقه من كذبه

فهو المفسِّرُ للكتاب وإنما ... نطق النبي لنا به عن ربه

وتفهم الأخبار تعرف حِلَّهُ ... من حرمه مع فرضه من ندبه

وهو المبين للعباد بشرحه ... سنن النبي المصطفى مع صحبه

وتتبع العالي الصحيح فإنه ... قربٌ إلى الرحمن تحظ بقربه

وتجنب التصحيف فيه فربما ... أدى إلى تحريفه بل قلبه

واترك مقالة من لحَاكَ[2] لجهله ... عن كتبه أو بدعة في قلبه

فكفى المحدِّث رفعة أن يرتضى ... ويُعدَّ من أهل الحديث وحزبه

1- ورواه السخاوي في فتح المغيث بشرح ألفية الحديث.

2- لحاكَ: لحا الرجل لحواً، أي شتمه.

والذي قاله سيدي إبراهيم الرياحي وما نقله الإمام النووي رضي الله عنهما هو مصداق لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ)"[1]، وهو من الأحاديث المشهورة المتواترة"[2]، وهذا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعاء لهم بالنضارة، وقال شيخ شيوخنا الإمام السيد علوي بن السيد عباس المالكي الحسني المكي رحمه الله في كتابه (فتح القريب المجيب على شرح تهذيب الترغيب والترهيب): "وهكذا خَصَّهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدعاءٍ لم يشرك فيه أحداً من الأمة، وهذا الدعاء يناسب حال مُبلِّغ الحديث؛ لأنه سعى في نضارة العلم، وتجديد السنة، فجازاه بالدعاء بما يناسب حاله" انتهى بتصرف،

1- رواه أصحاب السنن وغيرهم بطرق كثيرة وألفاظ مختلفة.

2- قال شيخنا سيدي عبد العزيز الغماري رحمه الله: "ذكر هذا الحديث السيوطي في (الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة) من رواية ستة عشر صحابياً وزاد عليه الكتاني في (نظم المتناثر) عائشة، وأبا هريرة، وشيبة بن عثمان واقتصر الزبيدي في (لقط اللآليء المتناثرة على ما في الأزهار)، وزاد شقيقنا - يعني سيدي أحمد بن الصديق الغماري- في (المسك التبتي بتواتر حديث نضر الله امرأً سمع مقالتي) حديث ابن عباس أسنده الذهبي في ترجمة ابن رُميح من (التذكرة)، فوصل عدد رواة هذا الحديث إلى عشرين صحابياً" ا.هـ

قلت: وهذا فيه استدلال بما هو أدنى على ما هو أعلى، وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (اللَّهُمَّ ارحم خلفائي)، قال: قلنا: يا رسول الله ومن خلفاؤك؟، قال: (الذين يأتون من بعدي، يروون أحاديثي وسنتي ويعلمونها الناس)"[1]، قال القسطلاني في مقدمة (إرشاد الساري شرح صحيح البخاري) بعد ذكر هذا الحديث: "ولا ريب أن أداء السنن إلى المسلمين نصيحة لهم من وظائف الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فمن قام بذلك كان خليفة لمن يبلغ عنه"، وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ)"[2]، وفي هذا هذا الحديث بيان عدالة أهل الحديث، ويؤخذ من حديث النضارة أيضاً أن أخذ العلم لا يكون إلا بالتلقي، ونقل الإمام الخطيب البغدادي بإسناده عن موسى بن يسار أحد المشهورين أنه قال: "لا

1- رواه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث.

2- رواه البيهقي في المدخل.

تأخذوا العلم إلا من أفواه العلماء"، وقال: "الذي يأخذ العلم من الكتاب يقال له الصحفي، والذي يأخذ القرآن من المصحف يقال له مصحفي"، ونقل أيضاً في (الكفاية في علم الرواية) "لا يفتي الناس صحفي ولا يقرئهم مصحفي"، وما نقله الخطيب مأخوذ من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْفِقْهُ بِالتَّفَقُّهِ، وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)"[1]، والمدار في فهم الحديث يتوقف على كلمة -إنَّما- المركبة من "إنَّ" المؤكِّدة و"ما" النافية، قال علماء البلاغة: "إذا ما التقى التوكيد والنفي واجتمعا في كلمة واحدة مثل "إنَّما" فإن ما بعدهما يفيد الحصر"، فيكون معنى الحديث لا يكون العلم إلا بالتعلم، وروى مسلم في صحيحه بسنده المتصل إلى ابن سيرين أنه قال: "إن هذا العلم دين، فانظروا عمَّن تأخذون دينكم"، ورواه مالك والترمذي في آخر كتابه (الشمائل)، وقال الشاطبي في كتابه (الموافقات): "إن العلم كان في صدور الرجال، ثم انتقل إلى الكتب، وصارت مفاتحه

1- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب "العلم" باب "العلم قبل القول والعمل" ورواه الطبراني في المعجم الكبير واللفظ له.

بأيدي الرجال"، فنفهم أنه لا مجال للتعلم ابتداءً إلا بالتلقي عن الرجال ولو كانت العلوم في الكتب، والمقصود من قوله: "في الكتب" أنها أصبحت أوعيتها بعد أن كانت العلوم أوعيتها صدورُ الرجال، وفي هذا أنشد أبو حيان الأندلسي صاحب تفسير (النهر المادّ) قائلاً:

يظُنُّ الغُمرُ أن الكتبَ تهدي أخا جهلٍ لإدراك العلومِ
وما يدري الجهولُ بأن فيها غوامضَ حيَّرَتْ عقلَ الفهيمِ
إذا رُمْتَ العلومَ بغير شيخٍ ضللت عن الصراطِ المستقيمِ
وتلتبسُ الأمورُ عليك حتَّى تصيرَ أضلَّ مِن توما الحكيمِ

ولهذا أوجب العلماء نقل كل شيء إلى قائله بالسند المتصل، لما رواه ابن أبي أويس أحد تلاميذ مالك قال: سمعت مالكاً يقول: "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه، لقد أدركت سبعين ممن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند هذه الأساطين -وأشار إلى المسجد- فما أخذت عنهم شيئاً، وإن أحدهم لو اؤتمن على بيت مالٍ كان أميناً، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن"، ذكره ابن فرحون في كتابه (الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب)، وكل ذلك لما في السند من الفضل على غيره، فهذه الأقوال المنقولة إلينا بالتلقي

من أفواه العلماء نقلت بالسند كما نقل حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه أصل من أصول الدين مصداقاً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ)"[1]، وكذلك نقلُ كلام الصحابة رضي الله عنهم؛ لأنه فهمٌ للدين وعملٌ به وتفسيرٌ له من أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأعلمهم بكلامه وهديِهِ، وكذلك كلام التابعين وتابعي التابعين وخاصة ما وصل إلينا من فقه الأئمة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رضي الله عنهم أجمعين؛ لأنهم أعرف الناس بما كان عليه صحابته الكرام، فكل منقول متوقف قبوله أو رده على السند والتلقي، ولولا التلقي لما كان السند، فإن صحَّ السند ثبت نقل الخبر، وإن لم يصح انتفى ثبوته، وبهذا الميزان يُحاكم كل ما يُنقل من قرآنٍ وحديثٍ وفقهٍ وغيره من العلوم حتى الأدب والشعر والنثر والتاريخ، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك مثل نقل المسليات أو المضحكات كأخبار الحمقى والمغفلين أو أخبار الأذكياء والنابهين أو البخلاء والطفيليين، فترى أحدهم يسوق

1- جزء من حديث رواه أبو داود.

سنداً طوله سطران أو ثلاثة أسطر من أجل كلمة ذات ثلاثة أحرف صدرت من مستظرف أو أحمق أو ذكي نابه ليثبت بالسند على أنها نقلت عن قائلها كما ذكره البغدادي في كتابه (التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم)، فقال: "أخبرنا علي بن أبي علي حدثنا محمد بن عبد الرحيم المازني أخبرنا ابن بكر أخبرنا قتيبة قال: والضَيْفَنْ"[1]"، مع أن الخبر ليس فيه أمرٌ ولا نهيٌ، ولا حلالٌ ولا حرامٌ، وإنما هو من حكايات الأسمار، وبهذا الاستدلال تعلم ما هي قيمة التلقي وأخذ السند عن العلماء الأعلام، فالسند والتلقي شرطان مطلوبان في كل خبرٍ صغيرٍ أو كبير، طويلٍ أو قصير، وما القصد إلا تحقق الصدق في الخبر وانتفاء الكذب عنه، وما يتم هذا وذاك إلا بالتلقي، وهو صفة المحققين من أهل العلم، وقد شبهوه بتشابيه متعددة وقد مرَّ ذكرها.

هذا بالنسبة إلى السند وأهل السند، وما جاء فيهم وفي فضلهم وفي كيفية أخذ العلوم عن العلماء ونقلها إلى غيرهم، وليراجع في هذا

1- هو الذي يجئ مع الضيف ولم يدع.

كتاب (الإسناد من الدين وصفحة مشرقة من تاريخ سماع الحديث عند المحدثين) بقلم المحدِّث عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله فإنه مهمٌ في بابه.

نصيحة: قال علماؤنا رضي الله عنهم وأرضاهم: "إن عدم معرفة المرء بالشيء لا يدل على عدم وجوده"، ومما هو مشاهد الآن أن هناك مَن ينتسبون إلى أهل العلم في هذا العصر وينكرون كثيراً من العلوم، وذلك بسبب عدم معرفتهم بها وعدم تلقيهم لها، ومنها علم الإسناد، مع أنه من أفضل العلوم وأشرفها لما فيه من صحة نسبة الأقوال إلى قائلها وأداء الأمانة إلى أهلها، ولكنهم يتهربون منه لما فيه من صعوبة الأداء، وحمل الأمانة، ومشقة العمل بها، مع كثرة التنقيب في الأسفار، وتمحيص الأقوال، ونسبتها لقائليها، زيادة على مَلَكَةٍ عالية، وحافظةٍ قوية، وذهن سيَّال، وفهم ثاقب، وعمل دؤوب، وفوق كل ذلك الصدق في العمل وإخلاص النية، وفيه كفاية لغير المكابر والمعاند، قال تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾"[1]، ومن هذا القبيل

1- سورة محمد الآية: 24.

إنكار بعض أهل العلم نسبة العلوم إلى غيرهم، وذلك بسبب عدم تلقيهم عنهم، وهذا مثل الذي قبله أن مَنْ لم يأخذ عنك ليس فيه دليل أنه لم يأخذ العلم عن غيرك، قال جل شأنه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾"[1]".

1- سورة النور من الآية: 63.

أما بالنسبة إلى سندنا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهذا أوان الشروع فيه، فأقول مستعيناً بالله العظيم: إني قد تلقيت على كثيرٍ من الشيوخ في المشرق والمغرب، وأذكر بعضاً منهم على سبيل المثال لا الحصر: فضيلة العلامة الأصولي الفقيه العامل بعلومه سيدي محمد الأخوة المالكي التونسي رحمه الله، والعلامة السيد محمد الشاذلي النيفر الحسيني المالكي التونسي رحمه الله، والعلامة الأصولي كمال الدين جعيط المالكي التونسي رحمه الله، والمفسر النحوي حامل القراءات السبع سيدي أحمد دريرة المالكي التونسي رحمه الله، والشيخ الصالح حامل القراءات العشر عثمان العَيَّاري المالكي التونسي رحمه الله، والفقيه المتكلم الأصولي محمد المازوني المالكي التونسي رحمه الله، والشيخ الفقيه البشير المجدوب المالكي التونسي رحمه الله، والفقيه الأصولي المفسر المنصف جعيط المالكي التونسي حفظه الله، والشيخ المتكلم إبراهيم بلقاضي الحنفي التونسي رحمه الله، والشيخ المعمر والفقيه المظفر سيدي عمر العداسي المالكي التونسي رحمه الله، والسيد الحافظ عبد الله بن الصديق الغماري الحسني المغربي رحمه

الله، وشقيقه السيد العلامة المحدِّث الناقد البصير والصوفي الكبير سيدي عبد العزيز بن الصديق الغماري الحسني المغربي رحمه الله، والسيد المحدِّث عبد الله التليدي الحسني المغربي حفظه الله، والسيد المحدِّث محمد المنتصر الكتاني الحسني المغربي رحمه الله، والسيد الداعية محمد بن علوي المالكي الحسني المكي الناصر للفقه المالكي خاصة في بلاد الحجاز وغيرها من بلاد شرق آسيا رحمه الله، والسيد بدر الدين الكتاني الحسني السِّلاوي المغربي حفظه الله، وفي ذكر هؤلاءِ كفاية إذ هم رؤوس الدراية والرواية.

وأما سندي بحديث الرحمة المسلسل بالأولية فأذكره من طريق العلامة السيد محمد الشاذلي النيفر لكثرة أفضاله عليَّ مع كثرة ملازمتي إياه، مترجماً له ولشيوخه الثلاثة الموجودين في هذا السند؛ لأن ترجمتهم غير مشهورة في البلاد التونسية، مع أن الثلاثة الذين يروي عنهم الشيخ النيفر من كبار علماء المالكية وأهل الإسناد في هذا العصر والذي قبله، أما بقية رجال السند فقد ترجم لهم العلامة المؤرخ عبد الله بن سعيد محمد عبَّادي اللحجي الحضرمي الشحَّاري

في كتابه المسمى (إعانة ربِّ البرية على جمع تراجم رجال الحديث المسلسل بالأولية)، وبدأ ترجمته من ذكره للشيخ فالح الظاهري.

فأقول أنا العبد الفقير إلى ربه أحمد بن منصور قرطام حدَّثني به سيدي العلامة الشيخ الفقيه المسند الشاعر الأصولي المعمَّر محمد الشاذلي النيفر الحسيني المالكي التونسي المولود سنة 1325 هجري الموافق 1908 رومي والمتوفى سنة 1418 هجري الموافق 1997 رومي، وهو أول حديث سمعته منه.

ترجمة سيدي محمد الشاذلي النيفر"1"

اسمه وكنيته:

هو شيخنا العلامة البارع الأصولي المتفنن المحدث النحرير والشاعر اللغوي الكبير الأستاذ الشهير أحد أساطين العلم في تونس المعمورة ووحيد عصره وسيد مصره الشيخ المُعمَّر والسيد الغضنفر، قيدوم المذهب المالكي ملحق الأحفاد بالأجداد والخلف بالسلف

1- من أراد أن يستزيد فعليه بالرجوع إلى كتابي "الدرُّ المنثور من شيوخ أبي الفضل أحمد بن منصور"، فقد ترجمت له ترجمةً حوت غالب تفاصيل حياته رحمه الله.

الأشعري الجَلْد، أبو المكارم أو أبو الطاهر محمد الشاذلي ابن العلامة النفاعة قاضي الجماعة بتونس المرحوم الشيخ محمد الصادق النيفر، وينتهي نسبه من ناحية الأب إلى العارف بالله الإمام أحمد الرفاعي، وأمه من عائلة الولي الصالح المشهور في البلاد التونسية سيدي علي عزوز.

مولده:

وُلد رحمه الله في سنة 1325 هجري الموافق 1908 رومي كما أقره هو بنفسه، وذلك خلافاً لما هو معروف عند أكثر الناس، وكانت ولادته في مدينة تونس المحميَّة حماها الله وحرسها من كل بليَّة.

نشأته:

نشأ شيخنا في بيت عريق في العلم والصلاح، وتلقى تربية قرآنية منذ فجر حياته برعاية مؤدبين فضلاء، فتعلم منهم مبادئ القراءة والكتابة واللغة العربية، ثم انتقل إلى المدرسة القرآنية التي أنشأها المصلح المرحوم الشاذلي المورالي لتعليم الناشئة المسلمة مبادئ العلوم الشرعية والعربية، ثم انتقل شيخنا إلى جامع الزيتونة المعمور محطِّ

أنظار طلبة العلم في تونس وشمال إفريقيا وذلك في سنٍّ مبكرة جداً، إذ تحول من المدرسة القرآنية إلى الزيتونة وعمره ثلاث عشرة سنة، وفيها كرع وتلقى العلوم على خيرة علمائها، وكان من أول الذين انتفع بهم والده العلامة قاضي الجماعة المحدِّث محمد الصادق النيفر حيث كان أول من أجازه في الحديث، وعنه تعلم الكتابة العلمية، وحضر دروسه الحافلة، فقرأ عليه عارضة الأحوذي شرح صحيح الترمذي ودروس حديثية أخرى، وبه تخرج بهذا الفن، وحضر شرح التنقيح للقرافي وغيره من كتب الأصول، ومصطلح الحديث وشرح صحيح مسلم، كما تلقى فنوناً كثيرة مثل الأجرومية وقطر الندى والألفية بشروحها في النحو، ومختصر خليل، والرسالة لابن أبي زيد القيرواني بشروحها الحافلة، ومختصر ابن عاشر في التوحيد والفقه والتصوف، والسلم في المنطق بحاشية الصبان، وتفسير البيضاوي، وطالع البشرى، وبغية المريد، والعقائد النسفية بشرح سعد الدين التفتازاني، وما سوى ذلك من العلوم التي تُدرس في الجامع المعمور على جُلّةٍ من العلماء الأعلام.

رحلاته:

ارتحل الشيخ إلى كثير من البلدان رغبة في لقاء الشيوخ وتوسيع دائرته العلمية وذلك عن طريق الاحتكاك ولقاء الأفاضل، فدخل بلاد الشام فلسطين ولبنان وسوريا والأردن وخاصة بيت المقدس، ثم دخل العراق وبلاد الحجاز حاجاً ومعتمراً عشرات المرات، بل له سُنة متبعة في ذلك ما تخلف عنها إلا في سِنينه الأخيرة، وذلك بسبب الشيخوخة، ودخل الباكستان والهند وبلاد شرق آسيا مثل إندونيسيا ودرَّس فيها، وبلاد البوسنة والهرسك، وذلك رغبةً وحرصاً منه على التلقي والانتفاع والنفع.

تدريسه:

درَّس الشيخ في الجامع الأعظم العديد من العلوم منها: النحو، والبلاغة وخاصة شرح مختصر السعد، والتاريخ، والحديث، وطبقات الرجال، والفقه وخاصة بلغة السالك لأقرب المسالك للشيخ أحمد الصاوي وبهامشه الشرح الصغير للقطب أحمد الدردير، والتفسير بشرح الجلالين، ودرَّس في الصادقية وترشيح المعلمين.

شيوخه:

تلقى شيخنا صاحب الترجمة العلوم على كثير من المشايخ نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

شيوخه من تونس:

1. والده قاضي الجماعة العلامة الشيخ محمد الصادق النيفر.
2. شيخ الإسلام المالكي علامة الدنيا في المعقول والمقاصد والأصول محمد العزيز جعيط.
3. قاضي الجماعة العلامة المرحوم الشيخ البشير النيفر.
4. العلامة الشيخ الحطاب بوشناق.
5. العلامة محمد العربي الماجري.
6. العلامة المحدث حافظ المذهب في البلاد التونسية محمد الزغواني.
7. شيخ الجامع اللغوي الكبير المفسر الأصولي محمد الطاهر بن عاشور.

شيوخه من المغرب:

1. العالم الرحالة المسند الشريف عبد الحي الكتاني صاحب (فهرس الفهارس).
2. الشيخ محمد الحجوي.
3. الشيخ محمد بن محمد الحجوجي الحسنى.

شيوخه من بلاد الحجاز:

1. محدِّث الحرمين الشريفين المسند العلامة والحبر الفهامة سيدي عمر بن حمدان المحرسي.
2. الشيخ أبو علي حسن محمد المشاط المكي صاحب التآليف العديدة والأقوال السديدة.
3. مسند العصر محمد ياسين الفاداني كما وسمه شيخنا عبد الله بن الصديق الغماري رحمه الله.

وغيرهم كثير، وفي ذكر هؤلاء الأعلام كفاية إذ هم رؤوس الدراية والرواية.

مؤلّفاته:

للشيخ مؤلفات كثيرة منها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط وهذه بعضٌ منها:

1. رسالة في التجنس.
2. باردو المنتزه مدينة الملك.
3. مناقب محرز بن خلف.
4. رسالة في الكلام عن الصفة النفسية.
5. رسالة في تحريم الخمر.

وأخرج كثيراً من نفائس المخطوطات وحققها مثل:

1. المعلم بفوائد مسلم للإمام المازري.
2. قطعة من موطأ ابن زياد وهو من أهم الموطآت، وعليه فوائد كثيرة من تحقيقاته.
3. أمّ القرى في مدح خير الورى.
4. الشقراطسيَّة في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

5. مسامرات الظريف في حسن التعريف للإمام السنوسي، زاد فيه ترجمة والده.
6. إصابة الغرض وإزالة الشبهة عمن اعترض للشيخ قويسم.

وله ديوان يسَّر الله طبعه للتداول بين أيدي الناس، وأهم ما في هذا الديوان النبويات، وأخص ما في النبويات التوسلات ومنها قوله:

إليـــــك رســـــول الله أرفـــــع حــــاجتي
فهــــذه الكـــــروب قـــــد أحاطـــــت

وإني راجٍ قـــــد وقفـــــت ببـــــابكم
وإنَّ رجـــــائي في إزالـــــة كـــــربتي

قاله أثناء مرضه بالتيفوئيد وهو ابن خمس عشرة سنة فبرئ.

وصدر أخيراً كتاب لمجموعة من علماء تونس اسمه (دراسات) ذكروا فيه كثيراً من مناقب الشيخ وهو خاص به.

خصائصه:

امتاز شيخنا بخلقٍ حضاري رفيع المستوى قلَّ نظيره، وكرم حاتمي بضيوفه وزائريه، فيتحمل هفواتهم في سماحة وصبر، ويبذل في إكرامهم كل نفيس، فبارك الله له في حياته وعمره، وانتفع بطول عمره غاية الانتفاع كما جاء في الحديث، فجازاه الله عنا وعن المسلمين ما جازى به العلماء والصالحين بمنه وكرمه آمين.

وظائفه:

لقد تبوأ شيخنا أعلى المناصب التي تصبو إليها كل نفس زكية، فعُيِّن أستاذ التعليم العالي، وعميد الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين، ورئيس رابطة الجمعيات القرآنية بتونس، وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ومجمع الفقه التابع لها، وعضو المؤتمر التأسيسي الأول للدولة التونسية، ومؤسس مكتبة آل النيفر الغنية عن التعريف، وعضواً مشاركاً في كثير من الجامعات لنيل أطروحة الدكتوراه وغيرها كثير من المسؤوليات الجسام، وقد تحصل قبل وفاته

رحمه الله على وسام الثقافة الأول للدولة التونسية، وذلك لكثرة نشاطه ومشاركاته جزاه الله عنا خير ما يجازى والدٌ عن ولده.

وفاته:

بعدما أتم شيخنا دراسة وتحقيق الصلاة المشيشية للقطب سيدي عبد السلام بن مشيش شرح العلامة الخروبي نُقل الشيخ رحمه الله إلى مصحة التوفيق في الضاحية الغربية لتونس، وذلك إثر نوبة صدرية حادة، وأدخل العناية المركزة إلى أن توفاه الله سبحانه وتعالى، وذلك على الساعة 4:30 صباحاً من يوم الخميس 4 شعبان 1418 هجري الموافق 4 ديسمبر 1997 رومي، وفي اليوم الموالي وقف على تغسيله العبد الفقير كاتب هذه السطور بحضرة ابنه عبد العظيم والحبيب منير خلف وسيدين آخرين قاما بمشاركته، وتم تشييع جثمانه الطاهر من منزله الكائن في منطقة مونفلوري من الضاحية الجنوبية للعاصمة التونسية باتجاه مقبرة الزلاج حيث مثواه الأخير، وذلك يوم الجمعة المبارك 5 شعبان 1418 هجري الموافق 5 ديسمبر 1997 رومي مع الساعة العاشرة صباحاً بحضور حشدٍ كبير من

الجماهير التونسية والشخصيات المحلية من علماء ووزراء ونواب ومفكرين ومثقفين وسفراء من الدول العربية والإسلامية كالمغرب والأردن وإندونيسيا وماليزيا وغيرهم، وهذا إن دلَّ على شيء فإنه يدل على مكانة الشيخ من قلوب الخاصة والعامة، وبعد وصوله إلى مقبرة الزلاج صلى عليه مفتي الجمهورية التونسية فضيلة العلامة الشيخ محمد مختار السلامي، وأبَّنَهُ وزير الشؤون الدينية على الشابي، وقام بدفنه رحمه الله كل من أبنائه محمد الطاهر وعبد المهيمن وعياض وعبد العظيم وأنس بن العربي العنابي والعبد الفقير كاتب هذه السطور إلى أن تم مواراته تحت الثرى وتلقينه، تغمده الله برحمته وجزاه عنا وعن المسلمين خير الجزاء، وبذلك فقد التونسيون خاصة والمسلمون عامة أحد أهم أقطاب العلم في هذا القرن، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال سيدي محمد الشاذلي النيفر: أجازني به في حال الصِّبا الشيخ عمر حمدان المحرسي المالكي التونسي المكي المدني المولود سنة 1291 هجري الموافق 1874 رومي والمتوفى سنة 1368 هجري الموافق 1949

رومي، أثناء زيارته لتونس وهو أول حديث سمعته منه، كما أرويه عن العلامة الشيخ محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الإدريسي الحسني المالكي المغربي المولود سنة 1302 هجري الموافق 1885 رومي والمتوفى سنة 1382 هجري الموافق 1962 رومي، والشيخ حسن بن محمد بن عباس المشاط المالكي المكي المولود سنة 1317 هجري الموافق 1900 رومي والمتوفى سنة 1399 هجري الموافق 1979 رومي، قال كل منهم عن شيخه هو أول حديث سمعته منه.

ترجمة الشيخ العلامة عمر بن حمدان المحرسي

هو العلامة الكامل الفاضل محدِّث الحرمين الشريفين الأديب الأريب، والراوية المسند، الثقة الثبت، عمر بن حمدان بن عمر بن حمدان المحرسي التونسي.

ولد بالمحرس سنة 1291 هجري الموافق 1874 رومي، وعندما بلغ الحادية عشر رحل بمعية والده إلى المدينة المنورة، وفي المدينة المنورة شرح الله صدره للعلم، فحفظ القرآن الكريم على الشيخ إبراهيم الطرود، ثم حفظ كثيراً من المتون العلمية، واعتنى بعلوم العربية وفقه المالكية مع اشتهاره بحسن الفهم وأَخْذِه عن كبار مشايخ عصره مثل سيدي محمد بن جعفر الكتاني، والسيد علي بن ظاهر الوتري، والسيد أحمد بن إسماعيل البرزنجي، والشيخ فالح بن محمد الظاهري المهنوي، وسيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني، فقرأ عليهم النحو والبلاغة والمنطق والتفسير والحديث، وختم عليهم الكتب الستة والشمائل والموطأ والشفا وغير ذلك، ورحل في طلب العلم إلى كثير من البلدان، فدخل الشام وأخذ عن علمائها مثل محمد أبي النصر بن

عبد القادر الخطيب، وبدر الدين البيباني، ويوسف النبهاني وغيرهم، ثم دخل مصر وأخذ عن علمائها مثل الشيخ محمد بخيت المطيعي، والشيخ محمود خطاب السبكي، والشيخ محمد إمام السقا وغيرهم، ودخل تونس وأخذ عن معمرها ومسندها الشيخ محمد الطيب النيفر، ومحمد النجار، والسيد المكي بن عزوز وغيرهم، ودخل المغرب وأخذ عن أحمد بن الخياط الزكاري المعروف، وماء العينين الشنقيطي وغيرهم، ودخل اليمن وحضرموت وأخذ عن السيد محمد السري، والقاضي حسين العمري، والسيدة خديجة بنت السيد أحمد بن محمد المحضار وغيرهم، وهذا قطر من بحر، ثم استجازهم فأجازوه، وطلب منهم الدعاء فحصل له المدد الكثير والخير العميم، ووصل إلى منزلة عالية ورتبة سامية، ثم أمروه بالجلوس للتدريس فاستجاب لطلبهم فنفع الله به كثيراً من العباد، وكانت تأتيه الفتوى في كل باب فيجيب عليها وكأنه ينظر من كتاب، فأخذ بمجامع القلوب ولقب بمحدِّث الحرمين الشريفين لأنه اشتهر بالتدريس شتاءً بمكة وصيفاً بالمدينة المنورة، فدرَّس الفقه المالكي والأصول والنحو والصرف والبلاغة

والاشتقاق والوضع والحديث والتفسير، ولقد تسنى له ختم الكتب الستة مرات، ومستدرك الحاكم، ومجمع الزوائد، والشمائل للترمذي، والشفا لعياض، وكان رحمه الله مَجمَعاً للفضائل، ومجلسه يقصده كبار العلماء وصغار الطلاب، وكان تاركاً للتكلف، عطوفاً على الطلاب، رجَّاعاً للحق، تخرج على يديه واستفاد منه جمع من الأعلام يصعب إحصاؤهم ومنهم شيخنا صاحب الترجمة، والعلامة حسن المشاط مؤلف الجواهر الثمينة بأدلة عالم المدينة، والسيد المؤرخ العربي التبان صاحب براءة الأشعريين من عقائد المخالفين، وعقيدة العوام، وحافظ العصر السيد أحمد بن الصديق الغماري، والسيد علوي المالكي، والسيد محمد الباقر الكتاني، والعلامة الأصولي المتفنن في شتى العلوم شيخنا وشيخ مشايخنا السيد عبد الله بن الصديق الغماري الحسني رحمه الله، والسيد الناقد ذهبي العصر شيخنا السيد عبد العزيز الغماري رحمه الله، وشقيقه الأصولي اللغوي سيدي عبد الحي الغماري رحمه الله، والسيد أمين الكتبي، والسيد محمد ياسين

الفاداني وغيرهم يصعب حصرهم ويكفيه بهؤلاء الأفاضل الأماجد فخراً.

ولعلو مرتبته وفضله واتساع علمه تدبَّج مع بعض أكابر شيوخه منهم السيد محمد بن جعفر الكتاني، والمهدي الوزاني صاحب الكواكب النيارة والمعيار الصغير، والسيد حسين الحبشي، والشيخ سليمان حسب الله المكي، وناهيك بهم جلالة وعلماً وفضلاً ونبلاً.

ولم يزل على حالته المَرْضِيَّة وشمائله إلى أن انتقل إلى رحمة رب البرية وذلك لتسعٍ خَلوْن من شوال سنة 1368 هجري الموافق 1949 رومي بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع رحمه الله وأثابه رضاه.

ترجمة السيد العلامة محمد عبد الحي الكتاني

هو العلامة الشهير ذائع الصيت في المغرب والمشرق المؤرخ النسَّابة مسند عصره وحامل لوائه بمصره أبو الإقبال وأبو الإسعاد محمد عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد عبد الواحد بن أحمد بن عمر بن عبد الواحد بن عمر بن إدريس الكتاني الحسني الإدريسي المالكي المغربي الفاسي.

ولد بفاس سنة 1302 هجري الموافق 1885 رومي في أسرة اشتهرت بالعلم والفضل والصلاح، حيث إنه شرع في طلب العلم قبل بلوغ الحلم ترعاه عين والده الهمام بمزيد العناية والاهتمام، ومن أهم مشايخه غير والده شقيقه محمد بن عبد الكبير، وخاله جعفر بن إدريس الكتاني، وابن خاله المحدِّث محمد بن جعفر الكتاني، وشيخ الجماعة أبو العباس أحمد بن الخياط الزكاري، وقاضي مِكناس أحمد بن الطالب بن سودة، والسيد محمد الفضيل بن الفاطمي الإدريسي وغيرهم، وهؤلاء أعلام المغرب بل والدنيا في أواسط القرن الماضي، فأكثر من التردد عليهم بقصد الرواية والعلو في الإسناد، وفي سنة 1323 هجري الموافق 1905 رومي قصد الحج وفي طريقه دخل مصر وأدرك أعلامها فروى عنهم مثل شيخ الإسلام عبد الرحمن الشربيني الشافعي، وشيخ الإسلام سليم البشري المالكي، والشهاب أحمد الرفاعي وغيرهم، وعندما دخل الحجاز حصل له المراد فأخذ عن الحبيب حسين الحبشي، ومسند المدينة فالح بن محمد الظاهري، وأديبها عبد الجليل برادة، والشيخ حسب الله المكي، والشهاب أحمد الحضراوي،

وتدبَّج مع أبي الخير المكي الهندي، وفي عام 1340 هجري الموافق 1922 رومي دخل الجزائر وتونس والقيروان ونزل ضيفاً على والد شيخنا قاضي الجماعة الشيخ محمد الصادق النيفر رحمه الله، ثم دخل الشام وأخذ فيها عن الشيخ عبد الله السكري، والشيخ أبي النصر الخطيب، والشيخ عبد الرازق البيطار وغيرهم، وألقى دروساً في الحرم المدني الشريف وفي الرملة وبيت المقدس ودمشق وغيرها وهو لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ولقد اعتنى الشيخ عناية فائقة مع همةٍ نادرةٍ وحرصٍ عجيب برواية الكتب والإجازات وتحصيل الفهارس والأثبات، وجمع في ذلك ما لم يجمعه غيره، وما أن بلغ أربعين عاماً من عمره إلا وصار أعلم أهل الأرض بهذا الفن ولا يعرف أحد مثله فيه، ومدحه الكبراء نظراً لبراعته وسيلان ذهنه، واشتهر اشتهاراً عجيباً في المغرب والمشرق، فتسابق العلماء في الرواية عنه بل وكتابة ترجمته في مصنفاتهم رغم كونهم أكبر منه سناً، وفي سنة 1351 هجري الموافق 1932 رومي حجَّ حجته الثانية والأخيرة، وحصل له إقبال لا مزيد عليه فتسابق العلماء والطلاب في الرواية عنه.

اشتهر الشيخ بمعرفة تراجم الرجال خاصة المتأخرين، وتسَلسُل أخذهم، ووفياتهم طبقة بعد طبقة، ويعرف أنساب المغرب معرفة تامة، أما أنساب بني هاشم فيستحضر غالبها، وقد كوَّنَ مكتبة نادرة متميزة تعد من أعظم المكتبات الخاصة بالعالم الإسلامي نُشر عنها مقالات، وكُتِبَ بشأنها بعض المؤلفات، وله كثير من المصنفات أهمها كتابه العجيب الغريب الذي ليس له في بابه منافس أو ضريب سماه (فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات) ما رأينا ولا سمعنا في بابه مثله طُبعَ أخيراً عن طريق دار الغرب الإسلامي وهو ثلاثة مجلدات ضِخام، فيه بعض الأوهام نبه عليها مسند العصر سيدي أحمد رافع الطهطاوي المصري، وكتابه (التراتيب الإدارية) مفيد جداً نادرٌ في بابه يدل على سعة إطلاعه طبع في مجلدين، وله مؤلفات كثيرة يصعب حصرها في هذه الترجمة الوجيزة.

توفي السيد عبد الحي الكتاني سنة 1382 هجري الموافق 1962 رومي رحمه الله وأثابه رضاه.

ترجمة الشيخ العلامة حسن المشاط

هو العلامة الحبر الجامع لأشتات العلوم والمبرز في المنقول منها والمعقول حسن بن محمد بن عباس بن علي بن عبد الواحد المشاط، المالكي المكي.

ولد بمكة المكرمة في 3 شوال سنة 1317 هجري الموافق 3 فبراير 1900 رومي، نشأ في رعاية والده فقرأ القرآن وجوَّده على الشيخ محمد السناري، ثم تعلم الخط والإملاء والحساب على السيد علي حسن اللبني، ثم دخل المدرسة الصولتية، وفي أثناء دراسته كان يحضر حلقات العلم بالحرم المكي الشريف وفي منازل بعض مشايخه مثل الشيخ عبد الرحمن بن أحمد الدهان، والشيخ مشتاق أحمد الكانفوري، والشيخ جمال الأمير المالكي، والشيخ عمر بن أبي بكر باجنيد، والشيخ محمد بن عبد الله زيدان الشنقيطي، والشيخ خليفة بن حمد النبهاني، والشيخ عيسى بن محمد رواس، والشيخ محمد علي المالكي، والشيخ عمر بن حمدان المحرسي المالكي وغيرهم من مشايخ الحرمين، وروى عن آخرين من خارج الحرمين منهم الشيخ محمد بخيت

المطيعي الحنفي المصري، والشيخ محمد زاهد الكوثري الحنفي التركي الجركسي شيخ الإسلام والمسلمين دفين مصر، والشريف محمد عبد الحي الكتاني، والشيخ محمد العربي بن المهدي الزرهوني، والشيخ المعمر محمد بن عبد الله العقوري بن إبراهيم المصري وغيرهم كثير، مع العلم أنه لم يغادر الحجاز إلا مرات قليلة، فسافر إلى السودان مرتين ومصر كذلك، ودخل الشام أيضاً مرتين وزار فيها حلب ودمشق والقدس وبيروت، وبعد أن أذن له مشايخه في التدريس شرع فيه بالمدرسة الصولتية والمسجد الحرام، مع أن داره كانت محطة ترحال طلبة العلم والعلماء فدرَّس الحديث والتفسير والفقه والأصول والفرائض والنحو والصرف، واقتصر في آخر حياته على تدريس كتب الأخلاق والسلوك، فاستفاد منه خلقٌ كثير يصعب حصرهم حيث إنه استمر في التدريس قرابة نصف قرن حتى شاهد تلاميذه وتلاميذهم يدرِّسون وهو مازال يدرِّس، ومنهم مسند العصر محمد ياسين الفاداني المكي وغيرهم كثير، وقد اعتنى المترجم بالتصانيف وحصل لها القبول وهي كثيرةٌ منها: التحف السنية في علم الفرائض، والتقريرات السنية

في حل ألفاظ المنظومة البيقونية، والجواهر الثمينة في أدلة عالم المدينة، وشرح الخريدة البهية في التوحيد، والحدود البهية في القواعد المنطقية وغيرها كثير، وقد تم اختيار الشيخ في عدة مناصب منها تعيينه عضواً للنظر في مكتبة الحرم المكي، وعُيِّن أيضاً عضواً في هيئة التمييز، وتولى نيابة رئيس المحكمة الكبرى بمكة المكرمة ثم عُيِّن قاضياً بها، ومن ثم عُيِّن عضواً في مجلس الشورى وعلى أثر ذلك عُيِّن معاوناً لرئيس المحكمة الكبرى إلى أن استقال من القضاء.

كان رحمه الله ليِّن الجانب حلو الشمائل حسن التقرير جميل التعبير يعتني بطلابه، آية في حفظ الوقت ولازال على حالته الفريدة حتى توفي يوم الأربعاء السابع من شوال سنة 1399 هجري الموافق 30 أغسطس 1979 رومي بعد مرض قصير وصُليَ عليه بالمسجد الحرام ثم حمل على أكتاف طلابه وكانت جنازته تمتد من الحرم الشريف إلى مقبرة المعلاة حيث دفن بحوطة السادة باعلوي رحمه الله تعالى وأثابه رضاه.

قال ثلاثتهم:

حدثنا العلَّامة أبو اليسر فالح بن محمد بن عبد الله بن فالح الظاهري المهنوي المالكي المدني المولود سنة 1258 هجري الموافق 1842 رومي والمتوفى سنة 1328 هجري الموافق 1910 رومي، وهو أول حديث سمعته منه، أنبأنا السيد الشريف الحسني ختم المحدثين محمد بن علي السنوسي المالكي المكي الجغبوبي مؤسس الطريقة السنوسية المولود سنة 1202 هجري الموافق 1787 رومي والمتوفى سنة 1276 هجري الموافق 1859 رومي، وهو أول حديث سمعته منه، أنبأنا مسند مكة المكرمة المحدث الصالح العلَّامة أبو حفص عمر بن عبد الكريم بن عبد الرسول العطار الشافعي المكي المتوفى سنة 1249 هجري الموافق 1833 رومي، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد البر الونائي الحسني الشافعي المصري المولود سنة 1170 هجري الموافق 1756 رومي والمتوفى سنة 1211 هجري الموافق 1796 رومي، وهو أول، أنبأنا البرهان إبراهيم بن محمد النمرسي وهو أول، عن الإمام عيد بن علي النُمْرُسي البرلسي الشافعي المصري المتوفى سنة 1140 هجري الموافق

1727 رومي، وهو أول، عن المسند عبد الله بن سالم البصري الشافعي المكي المولود سنة 1048 هجري الموافق 1638 رومي والمتوفى سنة 1134 هجري الموافق 1722 رومي وهو أول، عن الإمام الحافظ المسند الشمس أبي عبد الله محمد بن العلاء البابلي الشافعي المصري المولود سنة 1000 هجري الموافق 1591 رومي والمتوفى سنة 1077 هجري الموافق 1666 رومي، وهو أول، عن شهاب الدين أحمد بن محمد بن شيخ الإسلام أحمد بن يونس السعودي الشهير بابن الشَّلَبي الحنفي المصري المتوفى سنة 1021 هجري الموافق 1612 رومي، وهو أول، أخبرنا الجمال يوسف بن القاضي زكريا الأنصاري الشافعي المصري المتوفى سنة 984 هجري الموافق 1567 رومي، وهو أول، أخبرنا البرهان إبراهيم بن علي بن أحمد القلقشندي الشافعي المصري المولود سنة 831 هجري الموافق 1428 رومي والمتوفى سنة 922 هجري الموافق 1516 رومي، وهو أول، أخبرنا أبو العباس أَحمد بن مُحَمَّد بن أبي بكر بن مُحَمَّد بن سعد الله الْمَقْدِسِي ثمَّ القاهري الشهير بالواسطي المولود سنة 745 هجري الموافق 1344ر والمتوفى سنة 836 هجري الموافق 1433 رومي، وهو أول،

أخبرنا صدر الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم الميدومي الصوفي المصري المولود سنة 664 هجري الموافق 1266 رومي والمتوفى سنة 754 هجري الموافق 1353 رومي، وهو أول، أخبرنا النجيب عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي الحرَّاني الحنبلي المولود سنة 587 هجري الموافق 1191 رومي والمتوفى سنة 672 هجري الموافق 1273 رومي، وهو أول، أخبرنا العلامة الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي المولود سنة 508 هجري الموافق 1114 رومي والمتوفى سنة 597 هجري الموافق 1201 رومي، وهو أول، أخبرنا الإمام الفقيه الأوحد أبو سعد إسماعيل بن أبي صالح أحمد بن عبد الملك النيسابوري الشافعي المولود سنة 452 هجري الموافق 1060 رومي والمتوفى سنة 532 هجري الموافق 1138 رومي، وهو أول، أخبرنا والدي الحافظ أبو صالح أحمد بن عبد الملك بن علي المؤذن النيسابوري المولود سنة 388 هجري الموافق 998 رومي والمتوفى سنة 470 هجري الموافق 1078 رومي، وهو أول، حدثنا أبو الطاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي المولود سنة 317 هجري الموافق 929 رومي

والمتوفى سنة 410 هجري الموافق 1019 رومي، وهو أول، أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحي بن بلال النيسابوري المولود سنة 240 هجري الموافق 854 رومي والمتوفى سنة 330 هجري الموافق 942 رومي، وهو أول، أخبرنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم بن حبيب العبدي النيسابوري المولود بعد سنة 180 هجري الموافق 796 رومي والمتوفى سنة 260 هجري الموافق 874 رومي، وهو أول، أخبرنا أبو محمد سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي المولود سنة 107 هجري الموافق 725 رومي والمتوفى سنة 198 هجري الموافق 814 رومي، وهو أول، وإليه انتهى التسلسل، عن الإمام الحافظ عمرو بن دينار المكي المولود سنة 46 هجري الموافق 666 رومي والمتوفى سنة 126 هجري الموافق 743 رومي، عن أبي قابوس مولى عبد الله بن عمرو، عن عبد الله بن عمرو بن العاصِ المولود سنة 7 قبل الهجرة الموافق 616 رومي والمتوفى سنة 65 هجري الموافق 684 رومي، قال: قال رسول الله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ)"[1].

1- رواه أحمد وأبو داود في سننه والترمذي في جامعه وقال حسن صحيح ورواه الحاكم.

الحديث المسلسل

المسلسل لغةً: الشيء المتصل بعضه ببعض ومنه سلسلة الحديد، **واصطلاحاً**: قسمان: مسلسل في وصف الرواة، ومسلسل في صفة التحمل والأداء.

القسم الأول: هو الحديث الذي اتفقت رواته في وصف من الأوصاف قولياً كان فقط أو فعلياً فقط أو هما معاً.

فمثال الوصف القولي فقط: قوله صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ رضي الله عنه: (يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ فَقَالَ أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ) "[1]"، فإنه مسلسل بقول كلٍّ من رواته لمن يرويه عنه: "وأنا أحبك فقل..." إلى آخر الحديث، قال ابن عقيلة في (الفوائد الجليلة في مسلسلات ابن عقيلة(: "أخرجه الديلمي في (مسند الفردوس) مسلسلاً بنحو هذا اللفظ"، وقال السيوطي في (جياد المسلسلات): "صحيح الإسناد والتسلسل".

1- رواه أبو داود والحاكم في المستدرك.

ومثال الوصف الفعلي فقط: حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "شبك بيدي أبو القاسم صلى الله عليه وآله وسلم وقال: (خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ)"[1]، والحديث متكلم فيه، وقد ردَّه شيخنا عبد الله بن الصديق الغماري عليه من الله رحمة الباري في كتابه النفيس (الفوائد المقصودة في بيان الأحاديث الشاذة المردودة)، وللموضوع بحثٌ في غير هذا المقام، وإنما أتينا به لضرب المثال على المسلسل الفعلي.

ومثال القولي والفعلي معاً: حديث أنس رضي الله عنه: (لا يَجِدُ الْعَبْدُ حَلاوَةَ الإِيمَانِ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حُلْوِهِ وَمُرِّهِ)، قال أنس: وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على لحيته وقال: (آمَنْتُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حُلْوِهِ وَمُرِّهِ)، فإنه مسلسلٌ بقبض كلٍّ من رواته على لحيته، وبقول كلٍّ منهم: "آمنت بالقدر خيره وشره حلوه ومره"، قال ابن عقيلة في (الفوائد الجليلة في مسلسلات ابن عقيلة):

1- جزء من حديث، وهو عند مسلم وأحمد والبيهقي في (الأسماء والصفات) وغيرهم.

"أخرجه الحاكم"[1] والخلعي وأبو نعيم"، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه مسلسلاً، والحديث لا يخلو من ضعف.

والقسم الثاني: هو الحديث الذي اتفقت رواته في وصف الأداء وكيفيته ولفظه.

ومثال المسلسل في كيفية الأداء: قول كلٍّ من رواته سمعت أو حدثنا أو أخبرنا أو أنبأنا أو إلى غير ذلك مثل حديث الرحمة السابق الذكر.

ومثال الذي يتعلق بزمن الرواية: حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في يوم عيد فطر أو أضحى فلما فرغ من الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ أَصَبْتُمْ خَيْراً، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْصَرِفَ فَلْيَنْصَرِفْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُقِيمَ حَتَّى يَشْهَدَ الْخُطْبَةَ فَلْيُقِمْ)، قال السيوطي في (جياد المسلسلات): "غريب بهذا السياق"، وروى ابن ماجه نحوه، وأخرجه الديلمي في (مسند الفردوس) ورواه أبو داود والنسائي.

1- في معرفة علوم الحديث.

ومثال الذي يتعلق بمكان الرواية: قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (مَا دَعَا أَحَدٌ بِشَيْءٍ فِي هَذَا الْمُلْتَزَمِ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ)، قال ابن عباس: "وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا استجيب لي"[1].

قلت: وهكذا قال كل واحد من مشايخنا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأنا أقول: ولله الحمد ما دعوت الله في الملتزم بشيء إلا وظهرت إجابته لي.

قال الحافظ أبو بكر بن مسدي: "تفرد به مسلسلاً محمد بن إدريس المكي كاتب الحميدي عنه"[2]، وقد روي في حديث أبي الزبير عن ابن عباس موقوفاً كما أخرجه البيهقي في سننه، وهو شاهد قوي ومثله لا يكون رأياً فهو في حكم المرفوع، وهناك كثير من المسلسلات مثل المسلسل في عاشوراء، والمسلسل بالضيافة على

1- أخرجه القاضي عياض في (الشفا).

2- ذكره السيوطي في جياد المسلسلات.

الأسودين، والمسلسل بالدعاء بعد الأذان، والمسلسل بقراءة سورة الصف، وهو أصح مسلسل يروى في الدنيا.

ومن فضيلة المسلسل اشتماله على مزيد الضبط من الرواة، وخير المسلسلات ما كان فيه دلالة على اتصال السماع وعدم التدليس، وقلَّما يسلم المسلسل من ضعفٍ يحصل في وصفه لا في أصل المتن، قال البيقوني في منظومته:

[الرجز]

مُسَلْسَلٌ قُلْ مَا عَلَى وَصْفٍ أَتَى ... مِثْلُ أَمَا وَاللهِ أَنْبَانِي الْفَتَى

كَذَاكَ قَدْ حَدَّثَنِيهِ قَائِمَا ... أَوْ بَعْدَ أَنْ حَدَّثَنِي تَبَسَّمَا

قال الحافظ السخاوي في (فتح المغيث بشرح ألفية الحديث): "فليس يصح تسلسله -أي حديث الرحمة- بكماله من وجه ما".

وقال الحافظ العراقي في ألفيته:

ومنه ذو نقصٍ بقطعِ السلسلة ... كأوليةٍ وبعضٌ وصله

وقال الإمام السيوطي في ألفيته:

وقلَّما يَسلمُ في التسلسل ... من خللٍ وربما لم يُوصَلِ

كحديثنا السابق المسلسل إلى سفيان بن عيينة وهو من أصحِّ المسلسلات بعد مسلسل سورة الصف كما قال الحافظ السخاوي في (فتح المغيث في شرح ألفية الحديث)، وقد اعتنى أهل الحديث بهذا المسلسل اعتناءً زائداً وخصه الحفَّاظ بالتأليف فممن كتب فيه: منصور بن سليم الرازي، وأبو القاسم السمرقندي، وأبو طاهر السِّلفي، وابن الصلاح، والحافظ الذهبي، والتقي السبكي، وابن ناصر الدمشقي، وسراج الدين البلقيني، والحافظ العراقي، وولده أبو زرعة، وأبو الفتح اللخمي، وابن الأبار الأندلسي، والحافظ السخاوي، والمحدِّث المفيد السيد مرتضى الزبيدي وآخرون كثر، وممن ألف فيه من علماء هذا العصر شيخنا الحافظ الناقد الفقيه العلامة الأصولي سيدي عبد العزيز الغماري عليه رحمة الباري، ولقد استفدت منه كثيراً وهو عمدتي"[1].

1- وقبل تسليم هذا الكتاب للطباعة وصلنا كتاب شقيقنا أبي علي محمود منصور قرطام المسمى (غاية البيان شرح حديث الراحمون يرحمهم الرحمن)، أو (العقود الدُريَّة شرح حديث الرحمة المسلسل بالأولية)، وهو مفيد جداً في بابه خاصة في شرح كلمة "ارحموا منْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ"، وقد أطنب وأجاد وأحسن وأفاد وعن الحق ما حاد، وهو مرجع في الرد على المشبِّهة والمجسمة.

ورواه البخاري في (الكُنى المجردة)، ورواه الترمذي في (السنن) وزاد (الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنْ الرَّحْمَنِ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ) وقال: "حسن صحيح"، ورواه الحميدي وأبو داود والحاكم وصحَّحه، وأقره الذهبي في تلخيصه وقال الحافظ السخاوي في (المقاصد الحسنة): "وصححه الحاكم، وكان ذلك باعتبار ماله من المتابعات والشواهد، وإلا فأبو قابوس لم يرو عنه سوى ابن دينار ولم يوثقه سوى ابن حبان على قاعدته في توثيق من لم يُجرح".

واختلف الرواة في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (يَرْحَمكُمْ)، فرواه بعضهم بضم الميم، وبعضهم بسكونها، وذهب قوم على أن المشهور هو الضم، وقالوا: وهو أبلغ لأنه يفيد أن رحمة الله تعالى غير مترتبة على شيء، وأنها لاحقةٌ لأهل الإسلام جميعاً، لا فرق بين محسنهم ومسيئهم، واختار آخرون الجزم على أنه جواب الأمر، وقالوا: هو أدعى لترغيب سامع الحديث في العمل بمقتضاه، والتخلق بمعناه لأن من عَلِمَ أن من رَحِم رُحِم حثه ذلك على الإحسان والشفقة على المخلوقات، قال شيخنا المفيد سيدي عبد العزيز الغماري: والأدلة تؤيد

رواية الجزم وتشهد لصحتها لأن الحديث واردٌ في معرض الترغيب والدعوة إلى الرحمة والشفقة والإحسان إلى أهل الأرض، وذلك لا يتم بصورة أوضح وأبلغ إلا على رواية الجزم وهذا أظهر"، وصدْرُ الحديث فيه الدلالة الكافية على هذا، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ) ثم قال: (ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) يعني من أراد الرحمة ليَكُنْ راحماً للمخلوقات، ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث آخر: (إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ)"[1]، وهذا لا إشكال فيه فإن رحمة الله تعالى وإن كانت عامة لأهل الإسلام بدون فرق بين المحسن والمسيء زيادة على رحمة الكفار في الدنيا، أما إذا ماتوا على الكفر فلا، لكنه تعالى يخص الرحماء برحمةٍ زائدةٍ على الرحمة العامة، وهذا كقوله تعالى في الحديث القدسي: (أَنَا مَعَ عَبْدِي حَيْثُمَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ)"[2]، فإنه تعالى مع كل أحدٍ كما هو معلوم ولكن معيَّته مع الذاكر معيَّة خاصة وهذا ظاهر، وقال الشيخ: وقد وهم من

1- رواه البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد.

2- رواه البخاري.

قال أن الجزم في جواب الأمر يمتنع من حيث الصناعة كأنه لم يثبت عنده من طريق الرواية مع أن الحديث روي بالجزم أيضاً، وقال: وقد رويته بالوجهين عن شيخي محسن بن ناصر باحربة الحضرمي سماعاً من لفظه بالقاهرة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وألف، وقال الشيخ: وخلط أيضاً من عزى الحديث للبخاري في (الأدب المفرد)، وإنما رواه في (الكُنى المجردة) كما تقدم، والذي رواه في (الأدب المفرد) هو حديث عبد الله بن عمرو (الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنْ الرَّحْمَنِ) وهو طرف من حديث الرحمة كما في رواية الترمذي والحاكم لكن من طرق أخرى، ورواه الحميدي في مسنده بلفظ (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ) وبهذا اللفظ رواه الإمام أحمد وعثمان بن سعيد الدَّارمي في (الرد على الجهمية).

قال أهل الحديث زادهم الله رفعة: "ينبغي الاعتناء برواية هذا المسلسل وإن فاتت الأولية، ولا ينبغي لمن سبقت له رواية غيره عمن أمكنته روايته عنه أن يترك روايته لفوات الأولية؛ لأن المقصود من روايته العمل بمقتضاه من التخلق بالرحمة لخلق الله تعالى عموماً،

وذلك مطلوب من العبد لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وآله وسلم وهو الصادق المصدوق يقول: (إِنَّ الرَّحْمَةَ لَا تنزع إلا من شقي)"[1]"، وعن عمرو بن حبيب أنه قال لسعيد بن خالد بن عمرو: أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (خَابَ عَبْدٌ وَخَسِرَ، لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ رَحْمَةً لِلْبَشَرِ)"[2]"، وعن عبد الله بن أبي أوفى قال: كنا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشية عرفة في حلقةٍ فقال لي: (لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَمْسَى قَاطِعَ رَحِمٍ إِلَّا قَامَ عَنَّا)، فَلَمْ يَقُمْ إِلَّا فَتى كَانَ فِي أَقْصَى الْحَلْقَةِ، فَأَتَى خَالَةً لَهُ فَقَالَتْ: مَا جَاءَ بِكَ؟ هَذَا عَنْ أَمْرِكَ؟ فَأَخْبَرَهَا بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ، ثُمَّ رَجَعَ فَجَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: (مَا لِي لَمْ أَرَ أَحَدًا قَامَ مِنَ الْحَلْقَةِ غَيْرَكَ؟)، فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ لِخَالَتِهِ وَمَا قَالَتْ لَهُ، فَقَالَ: (اجْلِسْ، فَقَدْ أَحْسَنْتَ، إِلَّا أَنَّهَا لَا تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ قَاطِعُ رَحِمٍ)"[3]"، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

1- رواه ابن حبان.

2- رواه أبو بشر الدولابي في (الكنى والأسماء) وابن عساكر في تاريخه عن عمرو بن حبيب.

3- رواه البيهقي في شعب الإيمان.

قال علماء الحديث: إنهم لم يلتزموا في السلسلة أن يكون الابتداء بها حقيقياً بل يجوز أن يكون الابتداء إضافياً كأن يكون أول ما سمعه منه في ذلك المجلس أو ذلك اليوم، أو أول ما كتب به إليه أو نحو ذلك، قال أهل العلم: والمعنى في البداية بهذا الحديث أن يعلم طالب العلم أن رحمة الله تعالى للرحماء من خلقه، فينصح الخاص والعام ويرحم الصحيح والمريض ويشفق على القريب والبعيد، وكل ذلك من أصول الدين كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ) قُلْنَا لِمَنْ؟ قَالَ: (لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ)"[1"]، وإذا استقام للعبد هذا الأصل في الدين استقام له سائره، وما أجمل قول الشيخ إِسْمَاعِيل العجلوني:

كن يا أخي رحيم القلب طاهره   يرحمك مولاك بل يؤنسك إيناسا

ففي الصحيحين ما معناه متصلاً   لا يرحم اللَّه من لا يرحم الناسا

والراحمون روى الأشياخ مرتفعاً   بالأولية في التحديث نبراسا

1- رواه البخاري ومسلم.

وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) فالمراد به من كان أمره في السماء، أو خالق السماء؛ لأن ظاهر الحديث منافٍ لكثير من الآيات والأحاديث التي تفيد أن الله لا يشبه شيئاً من الأشياء، وأنه خالق الزمان والمكان، فيستحيل عليه الحدُّ؛ لأنه لا تحويه الجهات الست، ولأنه سبحانه كان ولا مكان، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه: (كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ)، و أخرج الإمام البغدادي في (الفرق بين الفرق) عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: "قد كَانَ وَلَا مَكَان وَهُوَ الآن على مَا كَانَ"، وقال أيضاً: "إن الله تعالى خلق العرش إظهاراً لقدرته لا مكاناً لذاته"، وقال الإمام الطحاوي في عقيدته: "وَتَعَالَى -أيّ اللهُ- عَنِ الْحُدُودِ وَالْغَايَاتِ وَالْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْأَدَوَاتِ، لَا تَحويهِ الْجِهَاتُ الْستُّ كَسَائِرِ الْمُبتدِعَاتِ"، وقال الإمام الباقلاني رحمه الله في كتابه (الإنصاف): "أنه تعالى مُتقدِّسٌ عن الاختصاص بالجهات"، وقال الإمام أبو منصور البغدادي الشافعي في كتابه (الفَرق بين الفِرَق): "وأجمعوا على أنه لا يحويه مكان ولا يجرى عليه زمان"، وقال حجة الإسلام الإمام الغزالي

الشافعي رحمه الله في كتابه (الاقتصاد في الاعتقاد): "ندعي أنه ليس في جهة مخصوصة من الجهات الست، ومن عرف معنى لفظ الجهة ومعنى لفظ الاختصاص فهم قطعاً استحالة الجهات على غير الجواهر والأعراض، إذ الحيز معقول وهو الذي يختص الجوهر به، ولكن الحيز إنما يصير جهة إذا أضيف إلى شيء آخر متحيز"، وقال أبو سليمان الخطابي: "فإن الذي يجب علينا وعلى كل مسلم أن يعلمه أن ربنا ليس بذي صورة ولا هيئة، فإن الصورة تقتضي الكيفية وهي عن الله وعن صفاته منفية"[1].

وفي هذا أنشد ابن مكي في عقيدته الصلاحيَّة قائلاً:

وصــانِعُ العــالَمِ لا يَحوِيــهِ ... قُطْرٌ تعالى اللهُ عـن تَشـبيهِ

قَد كانَ مَوجـوداً ولا مكانـا ... وحُكمُـهُ الآنَ على مَـا كانَـا

سُـبحانَهُ جَـلَّ عَـن المـكانِ ... وعَـزَّ عَـنْ تغـيُّرِ الزَّمـانِ

فقَــدْ غــلا وزادَ في الغُلــوِّ ... مَــنْ خصَّــه بجهــةِ العُلُــوِّ

1- رواه البيهقي في الأسماء والصفات.

وقال جمال الدين أحمد بن محمد الغزنوي الحنفي في كتابه (أصول الدين): "فصل: صانع العالم ليس في جهة ولا تحويه الجهات الست لأنها حادثة وهو الذي خلقها، فلو صار مختصاً بجهة بعدما خلقها لكان يتخصص بمخَصِّص، وذلك باطل"، وعلى هذا المعنى يستحيل على الله أن يكون محدوداً أو يشبه شيئاً من الأشياء، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾"[1]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾"[2]، وقال جل شأنه: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾"[3]، فهذه آيات محكمات تفيد أنه يستحيل عليه التشبيه، قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه في (الفقه الأكبر): "لَا يشبه شَيْئاً من الْأَشْيَاء من خلقه، وَلَا يُشبههُ شَيْء من خلقه"، وهناك آيات متشابهات في القرآن كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾"[4]، وقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلا

1- سورة الشورى من الآية: 11.

2- سورة الإخلاص.

3- سورة مريم من الآية: 65.

4- سورة الحديد من الآية: 4.

هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾"[1]، وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ﴾"[2]، والآيات في هذا الباب كثيرة.

ومن المتشابه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (وَالَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَةِ أَحَدِكُمْ)"[3]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا)"[4]، فهذه الآيات والأحاديث يجب حملها على الآيات والأحاديث المحكمة عملاً بالقاعدة التي تقول: "إذا ما تعارض المتشابه مع المحكم يُحمل المتشابه على المحكم"؛ لأن القرآن لا يناقض بعضه بعضاً، ومثله السنة، وهي أيضاً مفسِّرة للقرآن مع العلم أن الأحاديث متواترة على أن الله لا يحويه مكان ولا زمان، وأنه يستحيل عليه عقلاً أن يشبه المخلوقات أو أن يكون محدوداً، والذي ذكرناه هنا قليلٌ من كثيرٍ لكي

1- سورة المجادلة من الآية: 7.

2- سورة الواقعة الآية: 85.

3- جزء من حديث رواه مسلم.

4- جزء من حديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

يليق بهذا المختصر، وبناء على ما تقرر يُفهم من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) أي خالق السماء أو من فيها يعني الملائكة، وهذا القول يؤيده ما رواه أحمد والحميدي والدَّارمي في مسانيدهم بلفظ: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ)، فبهذه الرواية يتضح المعنى المراد من الرواية الأولى، كما هو مقرر عند علماء الأصول والمصطلح "أن خير ما يفسر الوارد بالوارد"، فلا سبيل لكائنٍ كان أن يشرح هذا الحديث برأيه بعد أن ثبت شرحه بالنص المأخوذ من رواية أحمد والحميدي والدَّارمي، ومن القاعدة المتفق عليها عند الأصوليين والمحدثين "إذا جاء الخبر ارتفع النظر"، وبناءً على ما تقرر فالاستدلال بالرواية الأولى فقط من غير الاستشهاد بالرواية الثانية التي رواها أحمد والحميدي والدَّارمي وهي الموضحة والمبينة والمفسرة لمعنى الرواية الأولى حرامٌ ابتداءً لما هو واضح من أن المُستدِل يريد أن يُلبِّس على الناس عقائدهم، وهذا يؤدي إلى الوقوع في المحظور لما فيه من الخيانة والكذب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أما إذا كان جاهلاً فلا يعذر بجهله أيضاً،

وزيادة على ذلك أنه يدعي الانتماء إلى أهل الحديث! والحق أن الشريعة لا تقبل التعطيل ولا التشبيه، إنما تقبل التنزيه والتسليم بغير كيف؛ لأن الكيفية عن الله وعن صفاته منفية كما قال الخطابي صاحب (معالم السنن)، وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: "من انتهض إلى معرفة مدبِّره فانتهى إلى موجود ينتهي إليه فكره فهو مشبِّه، وإن اطمأن إلى العدم الصرف فهو معَطِّل، وإن اطمأن إلى موجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحِّد"[1]، وهذا الذي قاله الشافعي رضي الله عنه وأرضاه هو شرحٌ لقول الصديق رضي الله عنه:" العجز عن دَركِ الإدراكِ إدراك"[2]، وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام[3]:

العَجْزُ عَنْ دَرَكِ الإِدْرَاكِ إِدْرَاكُ وَالبَحْثُ عَنْ سرِّ ذات السـر إشْرَاكُ

وهذا الذي قاله الصديق رضي الله عنه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق ابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير عنه قال: (تَفَكَّرُوا

1- ذكره الإمام أحمد الرفاعي في البرهان المؤيد.

2- ذكره الزركشي في البحر المحيط في أصول الفقه.

3- ديوان أمير المؤمنين عليه السلام.

فِي كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ)"[1]، وأخرجه الطبراني في (المعجم الأوسط) والبيهقي في (شعب الإيمان) عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً بلفظ: (تَفَكَّرُوا فِي آلاءِ اللَّهِ، وَلا تَتَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ)، ورواه أبو الشيخ في (العظمة) عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً بلفظ: (ولا تَفَكَّرُوا في ذات الله)، ورواه غيره بألفاظ أخرى مع زيادة ونقصان، والمقصود هنا أن يُفهم من حديث الرحمة أن الله موجود بلا مكان، كما أنه صحَّ أنه كان بلا مكان ولا زمان قبل خلق المكان والزمان صحَّ أنه باقٍ بعد خلق المكان والزمان بلا مكان ولا زمان، وأما من قال أنه فوق عرشه بذاته أو أنه في السماء وزعم أن ذلك مذهب السلف فقد قال منكراً من القول وزوراً وضل وغوى، ووقع فيما هرب منه من التأويل أو التسليم كما هو مذهب السلف والخلف، وعلى رأس السلف سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه وسيدنا علي عليه السلام وسيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وتبعهم على ذلك أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وعباراتهم صريحة في ذلك.

1- رواه البيهقي في الأسماء والصفات.

فقد أوَّل ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾"[1]، فقال: يكشف عن شدَّة، فأوَّل الساق بالشدة، ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في (فتح الباري)، والحافظ ابن جرير الطبري في تفسيره، وأوَّل ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾"[2]، قال: بقوة، كما في تفسير الحافظ ابن جرير الطبري، ونقلها ابن جرير الطبري أيضاً عن مجاهد وقتادة ومنصور وابن زيد وسفيان، وأوَّل أيضاً النسيان الوارد في قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾"[3] بالترك، كما في تفسير الحافظ الطبري، ونقل الحافظ ابن جرير الطبري هذا التأويل الصارف عن الظاهر بأسانيده عن ابن عباس ومجاهد وغيرهم، وابن عباس صحابي ومجاهد تابعي وابن جرير الطبري من أئمة السلف الصالحين، وقد نقل البيهقي في كتاب (المناقب) للإمام أحمد أنه أوَّل ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ

1- سورة القلم من الآية: 42.

2- سورة الذاريات الآية: 47.

3- سورة الأعراف من الآية: 51.

وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾"[1]"، أي جاء ثوابه"[2]"، وروى الخلال بسنده عن حنبل حنبل عن عمه الإمام أحمد بن حنبل أنه سمعه يقول: "احتجوا عليَّ يوم المناظرة فقالوا: (تجيء يومَ القيامة سورة البقرة) الحديث، قال: فقلت لهم: إنما هو الثواب""[3]" ا.هـ، فتأمل في هذا التأويل الصريح ولولا خشية التطويل لنقلنا أكثر تأويلات السلف من الصحابة وغيرهم ولكن اكتفينا بقول سيدنا أبي بكر وسيدنا علي وسيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهم أجمعين لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي وَأَشَارَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ وَمَا حَدَّثَكُمْ ابْنُ مَسْعُودٍ فَصَدِّقُوهُ)"[4]"، وعن العرباض بن سارية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (فعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ)"[5]"، وقوله صلى الله

1- سورة الفجر الآية: 22.

2- البداية والنهاية لابن كثير.

3- الإمام الكوثري في تعليقه على كتاب دفع شبه التشبيه.

4- رواه الترمذي.

5- جزء من حديث رواه ابن ماجه والترمذي والحاكم والبيهقي وغيرهم بألفاظ مختلفة.

عليه وآله وسلم في عليٍّ عليه السلام: (أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا)"[1]"، صحَّحه الحافظ أحمد بن الصديق الغماري وأفرد له كتاباً خاصاً سماه (فتح الملك العليّ بصحة حديث باب مدينة العلم عليّ)، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم لابن عباس رضي الله عنهما: (اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ وَتَأْوِيلَ الْكِتَابِ)"[2]"، فهو دعاء له من المعصوم بمعرفة التأويل وتفسير القرآن، لأجل هذا اصطلح على تسميته "ترجمان القرآن"، ثم اكتفينا بالإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه؛ لأنَّ أكثر المشبِّهة يدَّعون الانتماء إليه في هذه المسألة وغيرها، وهو منهم براء، فتأويلاته صريحة في كتب الحنابلة وغيرهم ولكنه داءٌ عضالٌ في قلوب هؤلاء المجسِّمة والحقُّ أنهم يعتقدون التشبيه والتجسيم ولكنهم يُلبِّسون على العامَّة وينسبون ذلك إلى السلف وينفون عنهم التأويل، والتحقيق أنه لا يصح القول بأن السلف سلموا ولم يؤولوا، نعم غلب عليهم التسليم مع أنهم أوَّلوا أحياناً، وهو ما قاله الشافعي رضي الله عنه: "آمنت بالله وبما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله،

1- رواه الطبراني والحاكم في المستدرك.

2- رواه ابن ماجه.

وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله"[1] أي على وفق ما أخبر وعلى الوجه الذي أراد، فلا العرش يحمله ولا الكرسي يسنده بل العرش وحملته والكرسي وعظمته الكل محمولٌ بلطف إرادته، مع الإقرار أن الذي غلب على الخلف التأويل بما يليق بالتنزيه وموافقة اللغة العربية من غير تكلف؛ لأن هذه الطريقة أحكم لإقامة الحجة وذلك لكثرة الفرق والفساد في العقيدة، والطريقة الأولى أسلم لمن كانت عقيدته صحيحة، ولا يستغنى في هذا الزمان عن كلتا الطريقتين؛ لأن الأولى توجب تعلمَ الثانية، والثانية تُعلم الحجة، والقاعدة عند أهل العلم "من حفظ حجة على من لم يحفظ".

وبناءً عليه فلا يصح أن ينسب القول الأول إلى السلف فقط والثاني إلى الخلف فقط، بل كلتا الطريقتين للسلف والخلف، إنما الذي اشتهر على ألسنة السلف التسليم فنسب إليهم، والذي اشتهر على ألسنة الخلف التأويل فنسب إليهم، وكلتا الطبقتين من السلف والخلف أوَّلوا وسلموا ولكن بتفاوت وعلى وفق ما فصَّلناه باختصار

1- نقله ابن قدامة المقدسي في لمعة الاعتقاد.

واكتفينا بما نقلناه عن السابقين الأخيار والتابعين الأبرار والأئمة الأطهار وغيرهم، وذلك وفق ما تحتاجه المصلحة.

أما المشبهة فقد ورثوا التجسيم عن اليهود الذين هم أصلٌ لكل من ادعى التشبيه والتجسيم، ثم تعلم منهم فرعون فكان رأس المجسمة في زمن سيدنا موسى عليه السلام، ثم ظهرت الفرق الضالة واقتبست عن هؤلاء كل عقيدةٍ فاسدةٍ كالكرَّاميَّة الذين يقولون لا تحويه الجهات الخمس وجعلوه في جهة فوق، ومن المعلوم المقرر أن الإمام المحدِّث مُلا علي القاري ذكر في شرحه (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح): "إن معتقد الجهة كافر، كما صرح به العراقي، وقال: إنه قول لأبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري والباقلاني"، فهؤلاء المشوشون شرٌ من غيرهم لأنهم يدعون الانتماء إلى أهل السنة والجماعة، قال الإمام الروَّاس رضي الله عنه وأرضاه:

اتبع أهلَ الهدى على علمٍ ... فأهلُ الهدى مثلُ النجومِ الزواهرِ
وإن أخا علمٍ به الزيغ كامنُ ... أضرُّ على الإسلامِ من ألف كافرِ

وليراجع في هذا الباب كتاب (الفرق بين الفرق) للبغدادي وهو من أكابر أهل السنة على مذهب الشافعي، وكتاب (التبصير في الدين)

للإمام أبي المظفر الإسفرايني الشافعي، وكتاب (الإنصاف) للباقلاني المالكي، وكتاب (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين) لفخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، وكتاب (مراتب الإجماع) لابن حزم الظاهري، وكذلك كل كتب المتقدمين من أهل السنة أطبقت على ما نقلناه هنا"[1] ا.هـ.

وفي لغة العرب ما شئت من التَجَوزَاتِ في الخطاب، وكان السلف رضي الله عنهم يعرفون موارد الكلام ويفهمون مقاصده، ومن أحاط بطرق العربية هان عليه مدرك الحقائق، وأما من تابع متشابهه فقد هوى وتُحمل عليه الآية الكريمة ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا

1- وليراجع كتاب شقيقنا (غاية البيان شرح حديث الراحمون يرحمهم الرحمن) أو (العقود الدرية شرح حديث الرحمة المسلسل بالأولية) فإنه نقل عن الأكابر كل شاردة وواردة في هذا المعنى وهو مفيد جداً في بابه.

وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الأَلْبَابِ﴾"[1]، وهذا الذي يعتقد أن الله ينزل ويذهب ويجيء ومستوٍ على عرشه بمعنى جالس فقد شبَّه الله بخلقه؛ لأن الحركة والانتقال والجلوس على العرش من صفات المخلوقين، وقد حكى الله عزَّ وجلَّ عن إمام المجسمة فرعون أنه ظنَّ أن إله سيدنا موسى عليه وعلى رسولنا السلام في السماء، فقال حكاية عنه: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ، أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾"[2]، فبيَّن الله في كتابه أن من ظن حلول الله في السماء أو في غير السماء فقد صُد عن المعرفة وضل سواء السبيل، وليستحضر العاقل قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾"[3]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، وليستحضر أيضاً قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (يَا أَبَا ذَرٍّ مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ

1- سورة آل عمران الآية: 7.

2- سورة غافر الآيات: 36-37.

3- سورة البقرة من الآية: 255.

فَلَاةٍ وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى الْحَلْقَةِ)"[1]، والنصوص في السنة كثيرة، أي فمن علم هذا فيجب عليه أن يستحضر في ذهنه أن إدراك العقول لأسرار الربوبية قاصرٌ وعاجز، فلا يتوجه على حكمه لِمَ ولا كيف وأينما، كما لا يتوجه عليه في وجوده أين وحيث، كما أنه لا يتوجه إليه لماذا؛ لأنه ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾"[2]، وهذا آخر المجلس والحمد لله على ما ألهم وأنعم وفهَّم وعلَّم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

1- رواه ابن حبان، والبيهقي في (الأسماء والصفات).

2- سورة الأنبياء الآية: 23.

هذا وقد استجازني من أحسَن الظن بي، أحسن الله عقباه، وأنعم عليه من فضله بكل ما يرجوه ويتمناه مع أن حسن الظن من الكمال، سائلاً المولى أن يحشرنا مع أولئك الرجال، ملبياً سؤال المجاز السالك مع أني لست من أولئك، معترفاً بقول القائل أبو علي البصير:

لعَمرُ أبيكَ ما نُسبَ المُعـلى إلى كـرمٍ وفي الدنيـا كـريمُ

ولكنَّ البلادَ إذا اقشعرَّت وصُوِّح نبتُها رُعِيَ الهشـيمُ

لكنه تعين الطلب منِّي مع أنِّي لست أهلاً لهذا الفن، فقلت وقد كساني الخجل، مكرهٌ أخاك لا بطل، أنا العبد الفقير إلى الله الغني ذي الجلال والإكرام، أحمد بن منصور بن إسماعيل قرطام الحسيني التونسي الفلسطيني الأصل قد أجزت السيد الفاضل:

....

....

....

....

....

....

....

بالشرط المعتبر عند أهل الفنِّ والأثر، وفق ما ضبطه حبيب الله الموريتاني الشنقيطي رحمه الله تعالى في منظومته (دليل السالك):

وهـو التثبـتُ بمـا قـد أُشـكلا ثـم المراجعـةُ فيمـا أعضـلا

مـع مشـايخ العلـوم المهـرة لا غـير مـن حققـه وحـرره

ثـم الرجـوعُ في الحـوادثِ إلى مـا كان بالنقـل يُـرى مُحصـلا

وعـدمُ الجـوابِ في اسـتفتاء إلا مـع التحقيـق للأشـياء

وهو أنْ يتثبت فيما أُشكلَ عليه وأُعضلَ من عويص المسائل مع أهل هذا الفن المهرة وتحقيق ذلك وتحريره، والرجوع في النوازل والحوادث إلى من كان أهلاً بنقلها وارتوى في تحصيلها، وعدم الفتوى في هذه الفنون إلا بعد أن تتوفر فيه الشروط ويتحصل على الإذن من أهل هذا الفنِّ بعد ضبطه وتحقيقه.

موصياً له ولي بتقوى الله تعالى في الواجبات والمحرَّمات، وفي السرِّ والعلن، وأن لا ينساني وأسيادي ومن علَّمني من صالح دعائه في صلواته وخلواته وجولاته، والعمل بالكتاب والسنة واتباع منهج الأئمة الأعلام، مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة النُّعمان،

وترك البدع والأوهام، واجتناب النِّحَل الرَّدِيَّة كالمشبهة والمجسمة والمعطلة والجهمية وغلاة الصوفية، والله ورسوله أعلم.

نفعنا الله وإياكم بأسرار كتابه، ووفقنا الله وإياكم بإتباع خير أنبيائه، ورزقنا الله وإياكم الوقوف مع آدابه، وحشرنا الله وإياكم في زمرة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وآله وأصحابه.

قاله بلسانه وكتبه ببنانه خادم العلم الشريف

أبو الفضل أحمد بن منصور بن إسماعيل قرطام

الحسيني المالكي التونسي الفلسطيني

كان الله له ولمشايخه ووالديه ولجميع المؤمنين

بمنه وكرمه وفضله آمين.

خاتمة

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى بعد أن طالع كتاباً له مراراً عِدة يصححه، فلما نظر فيه بعد ذلك عثر على خلل فيه فقال: "هيه أبى الله تعالى أن يصح إلا كتابه" ثم قال: أنشد بعض مشايخي عن بعضهم:

ربَّ كتـــابٍ قـــد تصـــفحتهُ   وقلــتُ في نفســـي صــححتهُ

ثـــــم إذا طالعتـــــهُ ثانيـــــاً   رأيـــت تصـــحيفاً فأصـــلحتهُ

فعلى الناظر في هذه الرسالة إذا عثر على سهوٍ فيها أو خطأ أن يتأمل فيه منصفاً، فيصلح الخطأ ويرحم جامعه، والله ورسوله أعلم.

ولله در القائل:

وَإِنْ تَجِدْ عَيْباً فَسُدَّ الْخَلَـلَا   جَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيْهِ وَعَلَا

تنبيه

نزولاً عند رغبة مولانا الشيخ سيدي أحمد دريرة رحمه الله، أثبتنا أهم مراجع البحث التي عوَّلنا عليها في النقل ليتسنى للقارئ الرجوع إليها:

1. التحفة العزيزية في حديث الرحمة المسلسل بالأولية لشيخنا العلامة الناقد سيدي عبد العزيز بن محمد بن الصديق الغماري الحسني رحمه الله.
2. إتحاف ذوي الفضائل المشتهرة بما وقع من الزيادات في نظم المتناثر على الأزهار المتناثرة لنفس المؤلف.
3. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني رحمه الله.
4. كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للمفسر المحدث الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي رحمه الله.
5. الرفع والتكميل في الجرح والتعديل للإمام محمد بن عبد الحي اللكنوي الهندي بتحقيق وتعليق عبد الفتاح أبو غدَّة رحمه الله.

6. توجيه العناية لتعريف علم الحديث رواية ودراية لشيخنا الحافظ المحقق الأصولي أبي الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني رحمه الله.
7. الفوائد المقصودة في بيان الأحاديث الشاذة المردودة لنفس المؤلف.
8. الابتهاج بتخريج أحاديث المنهاج لنفس المؤلف.
9. فتح القريب المجيب على تهذيب الترغيب والترهيب للإمام السيد علوي ابن السيد عباس المالكي الحسني رحمه الله.
10. المنهل اللطيف في أصول الحديث الشريف لشيخنا السيد محمد بن علوي المالكي الحسني رحمه الله.
11. الإسناد من الدين وصفحة مشرقة من تاريخ سماع الحديث عند المحدِّثين بقلم عبد الفتاح أبو غدَّة رحمه الله.
12. الترخيص في الإكرام بالقيام لذوي الفضل والمزية من أهل الإسلام على جهة البر والتوقير والاحترام لا على جهة الرياء والإعظام تأليف الإمام أبي زكريا يحي بن شرف النووي رحمه الله.

13. الإرشاد بذكر بعض ما لي من الإجازة والإسناد لشيخ شيوخنا أبي علي حسن محمد المشاط المالكي المكي رحمه الله.
14. إعانة رب البرية على جمع تراجم رجال الحديث المسلسل بالأولية للعلامة المؤرخ عبد الله بن سعيد محمد عبادي اللحجي الحضرمي الشحاري رحمه الله.
15. تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع أو إمتاع أولي النظر ببعض أعيان القرن الرابع عشر لمولانا المنعم صاحب التصانيف الغوالي والأسانيد العوالي أبي سليمان محمود سعيد بن محمد ممدوح المصري الشافعي حفظه الله ولأهل الحق أبقاه.
16. دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي الحنبلي بتحقيق وتعليق العلامة حسن بن علي السقاف حفظه الله.
17. الأسماء والصفات للإمام البيهقي الشافعي رحمه الله.
18. شرح جوهرة التوحيد للإمام إبراهيم الباجوري رحمه الله.
19. الفرق بين الفرق للإمام الأستاذ عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي رحمه الله.

20. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين تأليف الإمام أبي المظفر الإسفراييني بتحقيق العلامة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري رحمه الله.
21. البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى سيدنا علي للحافظ المجتهد أحمد بن الصديق الغماري الحسني رحمه الله.
22. أصول الفقه للعلامة الأصولي أبي الثناء محمود بن زيد اللامشي الحنفي الماتريدي رحمه الله.
23. مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول للشريف أبي عبد الله محمد بن أحمد المالكي التلمساني رحمه الله.
24. إيصال السالك في أصول الإمام مالك للعلامة محمد يحيي بن عمر المختار بن الطالب بن عبد الله الموريتاني رحمه الله.
25. مختار الصحاح للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي رحمه الله.
26. المصباح المنير للعلامة الإمام أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ رحمه الله.




الحمد لله

أجيز فضيلة الأستاذ البحاثة العالم الشيخ أحمد بن منصور قرطام بكلّ مالي من مسموعات ومقروآت ومؤلّفات إجازة عامّة وخصوصا بفهرس الفهارس و الأثبات و معجم المعاجم و المشيخات و المسلسلات ، وله أن يجيز حسب ما جرى به العمل كلّ من رآه من الأكفّاء المستحقين للإجازة موصيا له بتقوى الله في السر والعلن وأن لا ينساني من دعائه لي بالعافية وحسن الختام .

محمد الشاذلي

النيفر

في 13 شعبان سنة 1417هـ
23 ديسمبر 1996 م

صورة إجازة العلاَّمة الشيخ محمَّد الشاذلي النَّيفر
رحمه الله تعالى
لخادم العلم الشريف أبي الفضل أحمد بن منصور قرطام الحسيني المالكي
التونسي الفلسطيني على كتاب (مختصر الثبت)

بسم الله الرحمن الرحيم

إجازة سيدي محمد الشاذلي النيفر رحمه الله تعالى

لخادم العلم الشريف أبي الفضل أحمد بن منصور قرطام الحسيني المالكي

التونسي الفلسطيني حفظه الله تعالى

على كتاب (مختصر الثبت)

الحمد لله

أجيز فضيلة الأستاذ البحاثة العالم الشيخ أحمد بن منصور قرطام بكل ما لي من مسموعات ومقروآت ومؤلفات إجازة عامة وخصوصاً بفهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، وله أن يجيز حسب ما جرى به العمل كل من رآه من الأكفاء المستحقين للإجازة موصياً له بتقوى الله في السر والعلن وأن لا ينساني من دعائه لي بالعافية وحسن الختام.

محمد الشاذلي النيفر

في 13 شعبان سنة 1417 هـ

23 ديسمبر 1996 ر




بسم الله الرحمن الرحيم

وصلاته وسلامه على أشرف المرسلين وآله وصحبه أجمعين

ميَّز الله تعالى هذا الدين بأنه حفظ له كل ما يتعلق به من الكتاب المنزَّل الكريم كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(الحجر:9)، وكما صان الله تعالى كتابه من التغيير الذي نال الكتب المنزَّلة السابقة كذلك صان شريعة رسوله عليه أفضل الصلاة والتسليم، فقد وفق الصحابة الكرام الذين بلغوا تواتر كتابه تعالى المنزَّل الكريم، كذلك بلَّغوا سنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، فكانت متصلة الإسناد من أعظم الرسل عليه صلاة الله وسلامه، وإنما هيَّأ الله تعالى هذا الحفظ للشريعة الإسلاميَّة دون غيرها لأنه جلَّ وعلا جعل رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ختام الرسالات.

فالإسناد هو للدين أعظم عماد، ومفتاح الإسناد حديث الرحمة المسلسل بالأوَّلية، فهو حديثٌ جديرٌ كل الجدارة بأن يُعتنى به، وممن وفقهم الله إلى ذلك سعادة الأستاذ الشيخ أحمد بن منصور قرطام الفلسطيني التونسي البحاثة المطلع النفاعة الحريص على التلقي وعلى إبلاغ ما حصل عليه مِن زاد فائق، وتحصيل جادّ، بلّغه الله المراد.

كل ذلك جعله كفؤاً للتأليف والتدريس، وقد اختار هذا الحديث الذي هو كما تقدم مفتاح الأسانيد، فألمَّ في بحثه هذا بكلِّ ما يتعلق به من جهة الإسناد ممَّا دلَّ على بحثٍ عميق، وإطلاع متسع وتعرض لمعناه بغير اقتصار على رواية التسلسل، إذ زاد على حديث «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ» الذي رواه أحمد والترمذي والحاكم في المستدرك، و «الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنْ الرَّحْمَنِ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ»، وتوسع في معناه توسع خِرِّيت فأشبع القول مما أفاد فيه وأجاد، وجره القول على مسألة هامة دعا إليها قوله في الحديث «يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ» حتى لا يذهب الذاهب إلى إثبات المكان إلى الله سبحانه وتعالى، وطال نفسُه في تحقيق العقيدة، عقيدة من نفى عن الخالق جلَّ وعلا أنه في مكان، وهو لا يحده مكان ولا زمان.

فبحثه هذا اعتنى بالفوائد مما هو رائد في فهم حديث الأولية حتى لا يكتفي بعض الرواة بالإسناد فأضاف إليهم تحقيق معناه بما يزيل كل ما يعلق بالأذهان؛ لأن الحديث كما أفاده فإنه راجع معناه إلى أنه خالق السماء أو من فيها، واستدلَّ على المعنى بأدلةٍ واضحةٍ تُزيلُ كلَّ ريبٍ فالباحثُ في كلِّ ما طرقه شفا الغليل، ووضَّح السبيل كثر الله من أمثاله في شبابنا حتى نضمن الاستقامة في العقيدة السالمة، والله الموفق لسواء السبيل.

محمد الشاذلي النيفر

صورة تقريظ العلاَّمة الشيخ محمَّد الشاذلي النَّيفر
رحمه الله تعالى
لخادم العلم الشريف أبي الفضل أحمد بن منصور قرطام الحسيني المالكي
التونسي الفلسطيني على كتاب
(المفاخر العليَّة بحديث الرحمة المسلسل بالأوليَّة)



وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللَّهُمَّ على سيدنا ومولانا محمد

وعلى آله وصحبه الطيبين

الطاهرين.



إصدار



المركز الوطني للبحوث والدراسات

التابع لآل البيت ـ فلسطين

الموقع الالكتروني: www.alalbait.ps